أحــمــد عـــرابـــي

(١٨٤١-١٩١١)

0000000000000000

زعيم مصرى حتى النخاع

لم يجد قاسما مشتركا مع حكام بلاده

لوقف العنف البريطاني اللامتناهي ، التردد الفرنسى

البشع ضد المصريين الوطنيين الأحرار

****



حسين حسنين

أحمد عرابي

(١٨٤١-١٩١١)

0000000000000

- رقم الإيداع :٢٠٠٨/١٣٨٥٧
- الترقيم الدولي :I.B.S.N.977-17-5854-3



تمثال الكاتب المصرى القديم – من مقتنيات المتحف المصرى
- يعود إلى الأسرة الخامسة

حسين حسنين

- حسين على محمد حسنين
- أحمد عرابى (١٨٤١-١٩١١)
- رقم الإيداع :١٣٨٥٧/٢٠٠٨
- الترقيم الدولي :I.B.S.N.977-17-5854-3

- للاستفسار : e-mail : husseinaly@link.net

- طباعة داخلية : عبد الله محمود



الفهرس

- النتائج.
- التوصيات.
- المراجع.
- صدر للمؤلف.

المقدمة

كانت علاقة أحمد عرابى بسعيد باشا جيدة إلى حد بعيد حتـــى إعتبـــره عرابى نصيرا للفقراء وداعما لحركة التحرر الوطنى من النفوذ الأجنبى. بينما علاقته بالخديوى إسماعيل لم تكن منذ بدايتها جيدة بسبب التناقض الواضح بين فكر الرجلين وقدرة الدهاة الذين سعوا إلى توسـيع الهـوة بينهما وكان على رأس هؤلاء خسرو باشا الذى أشاع عن عرابى بأنه مناهض لنظام الخديوى إسماعيل ومؤسس لأحد الجمعيات السرية التـــى تعمل ضده ، وأنه صلب الرأى وشرس الأخلاق وفـلاح ولا يصـلح أن يكون قائدا عسكريا . أما علاقة عرابى بالخديوى توفيق ، فقـد كانـت متغيرة بين دافئة وتوترة ، وقد لعب الإنجليز والفرنسـيين كـل الأدوار لإحداث الوقيعة بينهما ، ونجح البريطانيون فى نهاية الأمر حيث كـان هدفهم تدمير الحركة الوطنية حتى يسهل لهم أحتلال مصـر والسـيطرة على قناة السويس بإعتبارها شريان المواصـلات لأهـم مسـتعمراتها بالهند. وفى النهاية إستطاع الإنجليز إفساد الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية مما أثر بالسلب على الروح الوطنية عامة والحركة العرابيـة خاصة حتى تم نفى عرابى إلى خارج البلاد . وعندما عاد عرابـى مـن المنفى فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى ، كان جل شىء وليس كله قد تغير، وظل عرابى محددا إقامتة حتى توفى فى صمت رهيب .

الفصل الأول

عرابى وعهد سعيد باشا

(١٨٥٤ وحتى يناير ١٨٦٣)

(١)

المرحلة الأولى من حياته فى

عهد سعيد باشا

إسمه بالكامل أحمد محمد عرابى وافي غنيم إبراهيم عبد الله حسن إبن الإمام الحسين إبن على أبي طالب كرم الله وجهه ، ووالدته هى السـيدة فاطمة بنت سليمان زيد إبراهيم مقلد . كان والده محمد عرابي شـيخاً جليلاً رئيساً على عشيرته عالماً ورعاً .

ولد أحمد عرابى في ٧ صفر سنة ١٢٥٧هـجرية الموافق ٣١ مـارس عام ١٨٤١ ميلادية بقرية "هرية رزنة" التابعة لمدينـة " بـو بسـط " والمعروفة حاليا بـ " تل بسط " بمحافظة الشرقية . وبدأ تعليمه بحفـظ القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية في المكتـب الـذي أنشـأه والـده خصيصا لتعليم الأطفال الذى كان تابعا للجامع الأزهر. بعد ذلك أمر والده بتدريس الفقه في ذلك المكتب ، وكانت دروس الفقه تتم بعد عصر كـل يوم ، وبعد صلاة العشاء أيضا . توفى والده فـي ٢١ شـعبان سـنة ١٢٦٤ هـ بمرض الكوليرا عن عمر يناهز ٦٣ عاما ، وكان أحمد فـى الثامنة من عمره . قامت والدته بتربيته تحت رعاية أخيه الأكبر . وفى ١٤ شوال عام ١٢٧٠ هجرية تولى سعيد باشا حكم البلاد ، وأصدر أمرا بضرورة إنتظام أولاد عمد القرى والنجوع والكفور وأولاد المشايخ فـى

سلك العسكرية . وتقدم أحمد عرابى للإلتحاق بالعسكرية فى ١٥ ربيع الأول عام ١٢٧١ الموافق ٦ ديسمبر عام ١٨٥٤ ميلادية أى وهو فى الرابعة عشر من عمره تقريبا .

ونذكر هنا أن سعيد باشا كان محبوبا لدى رعيته ، وكان مستنيرا محبا للأجانب ومشجعا لهم على العمل بمصر جنبا إلى جنب مع المصريين . ولكن الشيء الهام الذى يذكر له إهتمامه الشديد بالجيش وبالمعاهد والمدارس الحربية ، وكان يعمل بكل جد على تقوية جيش مصر فبنى قلعة القناطر الخيرية على رأس الدلتا وجعل لها حصونا وإستحكامات وأبراجا وثكنات عسكرية ونقل إليها مدرسة الهندسة العسكرية وبلغ إهتمامه بها درجة تفوق الوصف . ومع ذلك لم يشترك الجيش المصرى الذائع الصيت فى عالم ذلك اليوم سوى فى حروب القرم التى بدأت فى عهد عباس الأول وإنتهت عام ١٨٥٦ بين تركيا وروسيا.

وبالعودة إلى عرابى : فقد تخرج من المدرسة العسكرية برتبة ملازم ثان فى ١٥ ربيع أول عام ١٢٧٥ هجرية الموافق ٢٥ نوفمبر ١٨٥٨ ميلادية ، ثم رقى إلى رتبة ملازم أول في ١٧جماد الثاني سنة ١٢٧٥ هجرية ٢٣ فبراير عام ١٨٥٩ ، وإلى رتبة نقيب في ١٣ شعبان من نفس العام ١٨ أبريل ١٨٥٩ ، وإلى رتبة رائد في ١٥ شعبان من نفس العام أيضا الموافق ١٧ ديسمبر ١٨٥٩ ، وإلى رتبة مقدم فى عام ١٨٦٠ ميلادية ، ورقى إلى رتبة عقيد في ٢٤ صفر سنة ١٢٧٧

هجرية الموافق ١٨٦١ ميلادية وهي المرة الأولى التى يصل إليها مصرى وهو ما إعتبر إنجازا غير عادى لـ أحمد عرابى آنذاك . ثم ترقى بعد ذلك في عهد الخديوى توفيق باشا إلى رتبة أمير آلاي(عميد) في رجب سنه ١٢٩٦ هجرية الموافق يونيو عام ١٨٧٩، وأخيرا رقى إلى رتبة اللواء في ربيع آخر سنة ١٢٩٩ هجرية الموافق عام ١٨٨٢ ميلادية . ويقول عرابى فى مذكراته أن مدة خدمته بالجيش المصرى فى عهد سعيد باشا كانت كلها أسفار ومشاريع حربية من الإسكندرية إلى مريوط ، ومنها إلى دمنهور، ثم إلى القاهرة. ومدينة الخانكة ، والعباسية، وكذلك طره ، ثم إلى بني سويف، وأيضا جبل الطور بمديرية المنيا، إلى قنا، وكذلك سهل وادى الملوك بمدينة إسنا . وذهب عرابى مع سعيد باشا إلى المدينة المنورة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم . ويقول أحمد عرابى فى هذا الخصوص : " كان سعيد باشا محبا لتقدم وتطور المصريين " .

وقد إنتدب أحمد عرابى لإختيار وتدريب عساكر من أهالي المناطق الحجازية بالجزيرة العربية التى كانت تحت إدارة الحكومة المصرية وذلك للمحافظة علي القلاع والحصون الحجازية التابعة للتاج المصرى هناك ، ويذكر أنه سافر من القاهرة إلى مدينة السويس فى طريقه إلى الحجاز . ويذكر أنه لما وصل عرابى إلى الجزيرة العربية في أول رمضان عام ١٢٩٢ هجرية توجه وجنوده على ظهر الجمال إلى قلعة (نخل) بكسر

النون والخاء . وفى (نخل) قام عرابى بإختيار عدد من الشباب الأشداء من نفس المنطقة لتجنيدهم وتدريبهم على الدفاع عن قلعة نخل وإحلالهم محل العساكر المصرية الذين تقرر عودتهم إلى القاهرة بطريق البحر الأحمر . كما قام عرابى بإنشاء عدة مكاتب لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم فى المنطقة المحيطة بالقلعة وعهد بمباشرة تعليمهم إلى وكيل القلعة وفقيه بلدة نخل . ثم توجه عرابى إلى خليج العقبة لمباشرة إعماله هناك بقلعة العقبة وما تتطلبه من إحتياجات أمنية . وبعد ذلك توجه إلى قلعة (المويلح) ثم إلى قلعة (ظبا) ثم إلى قلعة (الوجه) ونظم عرابى في كل من هذه القلاع ما يلزمهم من العساكر من أبناء المناطق الحجازية المحيطة بها للمحافظة علي تلك القلاع وتأمينها بكل ما يلزمها ، وقد أنشأ في كل المناطق الحجازية المجاورة لتلك القلاع مكاتب لتعليم الأطفال والكبار وجعل تلك المكاتب التعليمية تحت مراقبة وكلاء القلاع المذكورة ثم أرسل جميع العساكر المصرية الذين تم إحلالهم بعساكر جدد إلى مصر بطريق البحر الأحمر. بعد الإنتهاء من مهمته عاد إلى مصر بحرا حيث عرج على مدينة القصير، ثم براً إلى مدينة قنا ثم بحراً إلى مدينة أسيوط وبعد ذلك أخذ طريق السكة الحديدية إلى الجيزة ، فالقاهرة . وقد إستغرق إنجاز هذه المأمورية نحو خمسة وأربعين يوماً . وبعد وصوله إلى القاهرة بعشرة أيام ، طلب منه التوجه مباشرة إلى ميناء مصوع بإفريقيا

باعتبار ه ضابط الشئون الإدارية المسئول عن حملة الحبشة حيث كان مكلفاً بنقل الأسلحة والذخيرة والمؤن إلى الجيش أينما كان . ومكث عرابى هناك حتى إنتهاء تلك الحملة التي بسببها بيعت حصص الحكومة المصرية فى قناة السويس سراً بدون إشهار مزاد عنها للحكومة الإنجليزية بمبلغ زهيد لا يزيد عن أربعة ملايين من الليرات الإنجليزية. وهنا يقول عرابى عن سعيد باشا: " لقد قضيت بخدمتى العسكرية فى عهد سعيد باشا ستة أعوام إلا عشرين يوماً هي أسعد أيام خدمتى بالجيش ، فقد كنت خالى من الأكدار الدنيوية ، وكنت فيها عزيزاً مكرماً عند حضرة محمد سعيد باشا ، وكثيراً ما كان يشركني معه في مشاريع المناورات الحربية وينيبني عنه في تلقينها إلى أكابر الضباط بحضرته... ولشدة إعجابه بي أهداني كتاب تاريخ نابليون بونابرت باللغة العربية طبعة بيروت ، وأذكر أنه كان شديد الغضب والحنق على الفرنسيين بعد تغلبهم على مصر، وجعلها مطمعا للأجانب.. " . ويضيف عرابى: " ولما قرأت كتاب نابليون شعرت بحاجة مصر إلى حكومة دستورية ، وإزداد هذا الشعور عندما سمعت خطبة ألقاها المرحوم سعيد باشا في مأدبة بقصر النيل حضرها عدد من العلماء والرؤساء الروحانيين وأعضاء العائلة الحاكمة وأعاظم رجال الحكومة من الملكيين والعسكريين بعد تناول الطعام في سرادق كبير ... وقال رحمه الله مرتجلاً : " أيها الأخوان .. أنتي نظرت في أحوال هذا الشعب المصري من حيث التاريخ

فوجدته مستعبدا لغيره من أمم الأرض... فقد توالت عليه دول ظالمة كثيرة كالغرب من الرعاة (الهكسوس) والأشوريين والفرس حتى أهل ليبيا والسودان واليونان والرومان، وهذا قبل الإسلام ... وبعد تلك المرحلة تغلب على مصر كثير من الدول كالأمويين والعباسيين والفاطميين من العرب، وكذلك من الترك، والأكراد والشركس... وكثيراً ما أغارت فرنسا علي بلادنا مصر حتى احتلتها في أوائل هذا القرن في زمن (بونابرت) ... وحيث إني اعتبر نفسي مصرياً فوجب علي أن أعمل على تعليم أبناء شعبي وأهذبه تهذيباً حتى أجعله صالحاً لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغني بنفسه عن الأجانب فى بلادنا ... وقد عاهدت نفسي على إبراز ذلك وترجمته من الفكر إلى العمل على أرض الواقع " . ويضيف عرابى: " ولما انتهت الخطبة خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حانقين مدهوشين مما سمعوا... وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تتهلل فرحاً واستبشاراً.... وأما أنا فقد إعتبرت هذه الخطبة أول حجر في أساس نظام "مصر للمصريين" . وفي سنة ١٢٧٨هـ رأى الأمير محمد سعيد باشا أن الحكومة مدينة لمعامل ألمانيا وفرنسا بنحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ثمن بناء حوض للسفن بالسويس ومدافع كروب من ألمانيا، وملابس ومهمات حربية وأسلحة جديدة من فرنسا . ونتيجة لذلك إضطر سعيد باشا إلى إصدار أمر بتسريح عساكر الجيش وبيع ما في المخازن الأميرية من الأمتعة

الثمينة... وكذلك بيعت جميع المعامل والورش القديمة الموجودة بالقاهرة وسائر المحافظات والمديريات حتى يمكن سداد ذلك الدين. كما أمر سعيد باشا بإعطاء كل من يرغب في التقاعد مبكرا من خدمة الحكومة أرضاً معاشاً له ولأولاده من بعده وبإحالة الضباط إلى المديريات والمحافظات للعمل بنصف مرتباتهم . وعندما تحسنت الأحوال بعد سداد الدين تم إستدعاء العساكر والضباط ثانية وألغيت الضريبة المؤقتة . وفي أوائل سنة ١٢٧٩ هـ سافر سعيد باشا إلى أوربا لمعالجة نفسه من مرض السرطان، وهناك كتب وصيته إلى إبنه في مصر (وهو إسماعيل باشا) قال فيها : " بما أن الضباط قد اشتغلوا بملازمة نسائهم، وتركوا دروسهم العسكرية... ولو تركناهم على هذه الحال التي لا تعود عليهم إلا بالوبال لفقدوا العافية والنظر وصاروا عبرة لمن أعتبر... وبما أننا نحن الذين ربيناهم على القوة والجلد، فلا يصح لنا تركهم في هذه الحال التي ذكرناها ، لذلك وجب إستدعائهم فورا وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولا بالنظر اليهن والتشديد عليهم بمداومة بالتدريب وتدريس القوانين ليلاً ونهاراً في قصر النيل " . وفى صباح ٢٧ رجب عام ١٢٧٩ هجرية توفى سعيد باشا .

الفصل الثانى

عرابى وعهد إسماعيل باشا

(يناير ١٨٦٣ وحتى ٣٠ يونيو ١٨٧٩)

حتى تكون الصورة أكثر وضوحا علينا أن نتعرف سريعا على الخـديوى إسماعيل: ولد بالقاهرة عام ١٨٣٠ ، وهو إبن إبـراهيم باشـا القائـد العسكرى المصرى الإسطورة ، وحفيد محمد على الكبير . تلقى تعليمـه الأولى بالقاهرة ، ثم أرسله جده مع بعض الأمراء ليكمل دراسته بكليـة سينت سير العسكرية بفرنسا . عاد إلى مصر عام ١٨٤٩ بعد أن حصل على قسط وافر من العلوم العسكرية كى يكون خلفا لوالده فى بسط نفوذ مصر جنوبا. وبالإضافة إلى علومـه العسـكرية ، درس الدبلوماسـية وقواعد البروتوكول ، وعلوم الدولة المؤسسـاتية بهـدف بنـاء دولـة عصرية وحديثة . وفوق كل ذلك كان وسيما وحذايا وخشنا وعلى جانب كبير من الذكاء الإجتماعى والسيطرة على من حولـه بجاذبيـة حديثـه وإتقانه لعدة لغات أوربية ، إضافة إلى العربية. وكـان إهتمامـه زائـدا بالجيش حيث بلغت قوته فى عهده نحو ٢٧٠٠ ضابطا و ٨٥ ألف جندى وحوالى ١٩٠٠ إلى ٢٠٠٠ خريجا سنويا من المدرسة الحربيـة التـى أعطاها إهتماما كبيرا من حيث الدراسة العسكرية الحديثة والتدريب على شتى فنون القتال . أما الإسطول الحربى البحرى فقد بلغ فى عهده نحـو ١٨ بارجة حربية منها ٣ بواخر خصوصية أهمها المحروسة ، إضـافة إلى الإهتمام بمدرسة تعليم ضباط البحرية وجنود الصف.

(١)

عرابى وخسرو باشا

فى مساء ٢٧ رجب ١٢٧٩ هـ، تولى إسماعيل (باشا) حكم البلاد ، وعلى الفور أمر بجمع العساكر والضباط وإعادة تنظيم الجيش وتحديثه وتجهيزه بالجنود والعتاد لإستكمال ضم المناطق الأفريقية تحت التاج المصرى . فى ذلك الوقت كان أحمد عرابى برتبة قائمقام (عقيد) وقائدا للكتيبة السادسة مشاة ، ويذكر أنه لم يحظى برتبة العقيد من المصريين فى ذلك الوقت سوى عدد قليل ومنهم أحمد عرابى . ولسوء حظ عرابى قام الخديوى إسماعيل بترقية خسرو باشا (جركسى الأصل) إلى رتبة أميرآلاى(عميد) وتولى الرجل رئاسة اللواء الثالث المكون من الكتيبتين الخامسة والسادسة على الرغم من أحقية عرابى فى الترقية بإعتباره الأقدم والأفضل عسكريا . وهكذا أصبح خسرو باشا القائد الأعلى لأحمد عرابى . وعندما إكتمل حشد العساكر وكتائب المشاة والسواري في ميدان منطقة(طره) بسفح جبل المقطم أقيمت التدريبات القتالية التى حضرها الخديوى إسماعيل وجميع قادة الجيش. وبعد الإنتهاء منها قام الخديوى بدعوة جميع الضباط الكبار من رتبة البكباشي(مقدم) فما فوقها إلى مأدبة طعام فخمة فوق ظهر سفينته البخارية ، وكان بها كل أنواع المأكولات والمشروبات الكحولية وغيرها، وقد تناول عرابى الطعام.

فقط . وبعد الإنتهاء من تناول الطعام والشراب أعلن الخديوى شكره لضباط الجيش على ما أبدوه من جهوزية للقتال ، وأمر حكومته بإعطاء لكل ضابط من الحاصلين على رتبة الباشاوية خمسمائة فدان، ولكل من قادة الكتائب مائتي فدان، وكل ضابط من القائم مقامات مائة وخمسين فداناً من الأراضى الزراعية التى تملكها الدولة في مديريتي الغربية والمنوفية . وخرجت الأوامر من المعية الخديوية إلى مسئولى المديريتين المذكورتين بتسليم الأراضي المذكورة إلى أصحاب الرتب التى أعلن عنها الخديوى . ولكن عند الشروع في استلام تلك الأطيان ظهر ظلم القائمين بالتنفيذ وتجسم بأكمل معانيه . فقد توجه كل ضابط من المنعم عليهم بالأرض وحصل على أمر بتسلم عدد الأفدنة من مسئول المديرية وبدلا من تسلم الأرض التى أشار إليها الخديوى قام كبار الضباط بوضع أيديهم بالقوة على أفضل الأراضى تربة وخصوبة التى يملكها الفلاحين وساعده فى ذلك مسئولى المديريات الذين قاموا بطرد الفلاحين من أراضيهم وإعطائهم بدلا منها أراض أخرى فى أماكن أقل خصوبة وأقل جودة . وكانت تلك أول مظلمة من المظالم التي وقعت في عهد الخديوى إسماعيل . أما عرابى ، فقد واجه مشاكل من نوع آخر مع خسرو باشا ، وهنا يقول عرابى: " كان خسروا باشا رجلاً جاهلاً متعصباً لبنى جنسه ، ولكي يتخلص منى فقد أخبر وزير الحربية إسماعيل باشا سليم (رومي الأصل) بأننى صلب الرأي شرس الأخلاق لا أنقاد لأوامره ولا أحفل بما

يصدر منها عن ديوان الحربية ' . وبناء على تلك الوشاية طلب وزير الحربية من خسرو باشا وقف تسليم عرابى تلك الأطيان التى أقرها الخديوى على الضباط لحين التحقيق فيما قاله خسروا باشا حول أحمد عرابى . وعليه عرض وزير الحربية الأمر على الخديوى شفاهة، وصدر بناء على ذلك أمر الخديوى إلى مديرية الغربية بعدم تسليم أحمد عرابى تلك الأطيان حتى إشعار آخر . ثم أمر وزير الحربية بإجراء تحقيق فورى مع عرابى ، وبالفعل شكل لذلك مجلس عسكري برئاسة حسين باشا الطوبجي وعضوية العميد محمد بك أمين قائد الكتيبة الخامسة ونائبه المقدم رشيد بك راقب وغيرهم من الجركس والترك . وهنا يقول عرابى: " كان خسروا باشا يهدف من وراء تلك المكيدة العمل على إقصائي من مركزي حتى يتسنى له ترقية أحد معارفه ويدعى مصطفى سليم أحد بكباشيه السرايا التي كانت تحت إدارتي إلى رتبة القائمقام (عقيد) ومن ثم يمكنه التخلص منى نظرا لكون مصطفى سليم جركسيا مثله ، ولكونه أيضا صهر جاهين كنج باشا قومندان اللواء الأول " . ويرجع سبب ذلك العداء إلى موقف سابق وقع بين عرابى وخسرو باشا وذلك عندما عقد إمتحان ترقية الضباط الصغار بحضور لجنة كان يرأسها خسرو باشا وبحضور عرابى كعضو في تلك اللجنة أيضاً... وبعد الإنتهاء من الإمتحان وظهور النتيجة تطلب الأمر إعتمادها من أعضاء اللجنة التى أشرفت على الإمتحان ... وبالفعل إعتمدها

غالبية الأعضاء أمام خسروا باشا وعندما طلب من أحمد عرابى التوقيع عليها لإقرار الترقية رفض عرابى التوقيع . ولم يتوقف الأمر عند حد الرفض فقط ، بل أعلن عرابى أمام الجميع أنه برفض التوقيع على الراسبين بأنهم ناجحين ، وأصر على عدم ترقية ملازم ثاني يدعى حسين أفندي لأنه راسب فى الإمتحان ولأن خسرو باشا يريد نجاحه وترقيته بسبب المحسوبية وصلة القرابة بدلا من ضابط آخر نجح فى الإمتحان ولكن خسرو باشا شطب إسمه ووضع حسين أفندى بدلا منه . ولعل ذلك هو ما جعل خسرو يأخذ موقفا معاديا من عرابى . وبالعودة إلى نتائج تحقيق المجلس العسكرى مع عرابى ، فقد ثبت براءته من هذه المكيدة، ومع ذلك حكم المجلس العسكرى بحبسه ٢١ يوماً محاباة لخسرو باشا ووزير الحربية إسماعيل باشا سليم . ولكن عرابى إستأنف الحكم وطلب إحالته إلى المجلس العسكري الأعلى للبت فى الإستئناف ، وعليه جاء حكم الإستئناف بإلغاء الحبس وحفظ الأوراق لفساد التهمة وثبوت تزويرها . وقد ترتب على حكم البراءة وقوع خلاف بين وزير الحربية إسماعيل باشا سليم " أصله مملوكاً رومي" وبين رئيس المجلس العسكري الأعلى علي باشا سري " وهو أرناؤطي الأصل" بسبب إلغاء حكم المجلس الابتدائي . فقد كان وزير الحربية يريد تأييد الحكم الابتدائي تصديقاً لما أخبر به الخديوى سابقاً ، وليؤكد وجهة نظره إضطر للذهاب ثانية إلى الخديوى وطلب منه ضرورة رفت رئيس المجلس العسكرى

ورفت أحمد عرابى أيضا لعدم الإنصياع لأوامره . وبالفعل تحقق له ما أراد . لكن في نفس الأسبوع الذي رفت فيه عرابى من الجيش أصدر الخديوى أمرا بإلغاء سرايا اللواء الثالث الذي كان تحت إمرة خسرو باشا وتم توزيع تلك السرايا على الكتائب الأخرى . "وتظهر بركات أحمد عرابى" ويتم رفت البكباشي مصطفى سليم مدة عشر سنوات من الجيش ، ثم يصاب حسين باشا الطوبجي بشلل يودى بحياته ، كما أصيب محمد بك أمين الذي وافق على محاباة خسرو باشا بشلل أيضا . أما أمين بك القبرصي(رومى الأصل) ناظر القسم التركي بديوان الحربية فقد أصيب بكارثة قبل موته بسبب قيامه بتزوير أمراً خديوياً مالياً، وعندما كشف التزوير تم سجنه وحاول الإنتحار وهو فى السجن بطعن نفسه بسكين ، ولكن تم معالجته ، ثم أرسل إلى السودان ولكنه مات قبل وصوله إلى الخرطوم . وبخصوص وزير الحربية إسماعيل باشا سليم فقد توفى بعد ذلك بكثير عندما أكل فريكا مسموما أثناء تواجده في كريت لمتابعة الحرب المصرية هناك ، وأرسلت جثته إلى مصر ودفن في قرافة (مدافن) الإمام الشافعي . أما عدو عرابى وخصمه اللدود خسرو باشا فقد أرسل إلى السودان. ويقول عرابى فى هذا الخصوص: " كل من اشترك في تلك المكيدة ضدي أصيب بمصيبة عظيمة (أطلق على عرابى بعد ذلك بالشيخ عرابى خاصة بين أصدقائه، وظهر وقتها قول مأثور: اللى يجيى علي عرابى ما يكسبش) " . وبعد

موت وزير الحربية مسموما بالفريك فى جزيرة كريت ، تقدم عرابى يشكو حاله إلى الخديوى إسماعيل باشا وإلتمس فى شكواه فحص أوراق قضيته الموجودة بديوان المعية الخديوية وإنصافه ، وطلب عرابى من راغب باشا باشمعاون الخديوى بالنظر في مظلمته، خاصة وأن راغب باشا كان له نفوذ كبير في جميع المصالح الأميرية . وفي الحال كتب راغب باشا لديوان وزارة الحربية يطلب جميع الأوراق المتعلقة بقضية عرابى ، وبناء على ذلك أرسلت جميع الأوراق الخاصة بها إلى ديوان المعية الخديوية . وقام بفحصها إبراهيم باشا خليل رئيس قلم العرضحالات، وكتب عنها نتيجة الفحص الذى توصل إليه، وأوضح فيه أنه تم تلفيق القضية لأحمد عرابى. ثم عرض إبراهيم باشا النتيجة على الخديوى إسماعيل ، ولكن الخديوى لم يبد رأيه فيها متحديا فى ذلك بركات الشيخ أحمد عرابى كما أشيع فى ذلك الوقت . وعليه مكث أحمد عرابى عاطلا عن العمل مدة ثلاث سنوات ، وخلالها كان يتردد على المعية الخديوية أملا فى عودته للعمل لكن دون جدوى . وفي ربيع أول سنة ١٢٨٣هـ كتب عرابى عريضة استرحام ثانية للخديوى إسماعيل ، وجاء الرد عليه وبه أن العرضحال المقدم من أحمد عرابى تم عرضه على الخديوى الذى عفا عنه . وبناء على ذلك صدر أمر الخديوى باستخدام أحمد عرابى عند ظهور عمل مناسب له . لكن تبين لأحمد عرابى أن الهدف من ذلك العفو هو إضاعة حقوقه المالية من

رواتب شهرية وخلافه طوال مدة رفته وعدم مطالبته بحقوقه خلال تلك الفترة. ومع ذلك أخذ أحمد عرابى أمر العفو الصادر من الخديوى وتوجه به إلى وزير الحربية إسماعيل باشا سليم ، ولما ناوله إياه قرأه الوزير وقال لعرابى : " الحمد لله على ذلك، لقد خدعت وصدقت قول خسرو باشا، وتسرعت في الأمر وعرضته على الخديوى ، ولم أستطع بعد ذلك تكذيب نفسي عند الخديوى ، وأنا آسف على ما حصل ، وأرجو منك يا ولدي قبول اعتذاري " . فرد عليه عرابى: "عفا الله عما سلف ، والذي أرجوه منك الآن هو إحالتي للعمل فى تفتيش الأقاليم ". فوافق إسماعيل باشا سليم على طلبه . وتم تعيينه للعمل في مأمورية مؤقتة وتمثل عمله الجديد فى المحافظة على عدم فيضان النيل بمديرية الشرقية. وفى عمله الجديد عمل عرابى على حفظ البلاد من غرق فيضان النيل ، ثم قام بانجاز بناء قنطرة فم الإسماعيلية بحري قصر النيل وتشييد القنطرة البولاقية . وكذلك بناء سد فم رياح الترعة الإسماعيلية بالقرب من شبرا، وإنجاز قطع الأحجار لرصف جهات العباسية والبساتين وطره والمعصرة وشحن الأحجار اللازمة لتلك المناطق وللقناطر الخيرية أيضا، بل ولجميع مديريات الوجه البحري . وفي سنة ١٢٨٤هـ عهد إلي عرابى أيضا بإنجاز بناء كوبري قشيشه العظيم على خط السكة الحديدية بمنطقة الواسطى بالوجه القبلى وطوله ٥١٤ متر ، وكذلك بناء كوبري الرقة بحري الواسطة وكوبري أطواب

على فرع الفيوم ، ثم إنشاء خط السكك الحديدية من المنيا إلى بندر ملوي. وبعد إتمام تلك المهام كلها مع السرعة في إنجاز البناء والتركيب وإحكام الأعمال على أحسن ما يرام تم مكافئة ناظر الدائرة الخاصة قاسم باشا رسمي (رومى الأصل) بخمسة آلاف جنيه على الرغم من أنه لم يقم إلا بالمخاطبات الورقية فقط بين عرابى وبين مصلحة السكة الحديدية. أما عرابى فقد كوفئ على جميع تلك الأعمال الشاقة بإحالته للتقاعد عن العمل بدون صرف معاش له لحين ظهور عمل أخر له . وفي أوائل عام ١٢٨٧هـ ، عين قاسم باشا وزيرا للحربية وكان رجل بارع في الأشغال الحربية والملكية ونشيط في كل أعماله. وكان يعرف قدرة أحمد عرابى فى العمل بالمنشآت المدنية وغيرها من الأعمال ، لذلك قام بإستدعاء عرابى وكلفه بالرجوع إلى خدمة الجيش بالأسكندرية ، وهو ما حدث بالفعل . وفي عام ١٢٨٨هـ انتقل عرابى إلى رئاسة الكتيبة الثانية مشاة من دون ترقى . وفي أوائل عام ١٢٩٠ هـ أحيل ديوان وزارة الحربية إلى عهدة الأمير حسين كامل باشا بن الخديوى إسماعيل باشا . وفي أواخر نفس العام توجه عرابى بالكتيبة الثانية مشاة إلى رشيد بطريق البر على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، فى الوقت نفسه تقرر زيادة تعداد الجيش المصرى وتجهيزه ، وبالفعل أنشئت الفرقة الثانية والثالثة وتم تسليحها بأسلحة من المشاة والخيالة والمدفعية ، وفتح باب ترقى الضباط وذلك استعداداً للحملة المصرية

على الحبشة. وقامت قيادة الجيش بترقية ضباط الفرقة الثانية ، ولكن لم يتم ترقى الضباط المتأخرين من الفرق الأخرى ومنهم أحمد عرابى الذى تأخر كثيرا عن الترقية وكان معه ممن لم يترقى حسين مظهر أفنـــدي البكباشي وعلي فهيم البكباشي ، ومتولي حافظ البكباشي، ومحمد أفندي البكباشي، ومحمد الدري أفنـــدي البكباشـــي، وســـعيد ناصـــف أفنـــدي البكباشي. ويذكر فى هذا الخصوص أن الأمير حسين كامل باشـــا إبـــن الخديوى إسماعيل نظر إلى عرابى وقال له: " لقد طلبت مـــن أفنـــدينا ترقيتك إلى رتبة الأميرآلاي(عميد) فقال أنك من بتوع ســـعيد باشـــا " . وهنا قاطعه أحمد عرابى وقال له : " أنا لست بتاع أحد ، بل أنـــا خـــادم الحكومة والوطن وبلدي هرية رزنة بمديرية الشرقية... ولكـــن بتـــاع سعيد باشا هو راتب باشا لأنه ملكه ". فرد عليه الأمير حسين كامل : " لا تفتر همتك في تأدية واجباتك، وأعدك أني سأبذل جهدي في ترقيتـــك عند ترتيب الفرقة الثالثة " . وهنا يقول احمد عرابى فى أسى: " نظرت إلى الأمير وشكرته وخرجت وأنا شاعر بأني لن أنال خيراً فـــي عهـــد والده .. لأني متأكد من أن خسرو باشا وراتب باشا ورؤساء الجراكسة يعارضون ترقيتي ويبذلون كل جهدهم من أجل إبعادى عن الجـــيش " . وعندما تم تنظيم الفرقة الثالثة وتم ترقية ضباطها لم يســـتطع وزيـــر الحربية الأمير حسين كامل الوفاء بوعده فى ترقية عرابى نتيجة إصرار السردار راتب باشا على رفض ترقية عرابى. ومن الغريب أن الكتيبة

التي كانت تحت إدارة عرابى ظلت خالية من ضابط برتبة الأميرآلاي (عميد) لمدة ثمانية أعوام . وكان عرابى هو القائم بوظيفة الأميرالاي على أحسن نظام وأكمل ترتيب وأدق تعليم وأحسن هيئة عسكرية .

(٢)

عرابى وحملة الحبشة الثانية

نشير هنا إلى حقيقة هامة ، وهى لما تعذر على مصر التقدم نحو الشمال فى عهد محمد على الكبير بسبب معارضة الدول الأوربية الكبرى ، كان من الطبيعى أن يتجه الخديوى إسماعيل نحو الجنوب . وتظرا لأن موقع مصر على مصب نهر النيل فكان يتحتم عليها السعي لضمان مصالحها الحيوية فى قلب أفريقية إما بطريق الكشف والضم والإستعمار وإما بطريق الفتح ، ونؤكد هنا أن ما من حكومة قوية حكمت مصر إلا ووصل نفوذها قليلا أو كثيرا إلى أعالي النيل جنوبا حيث دنقلة وسنار وكردفان، وقرب غندكرو عند خط عرض أربعة ونصف درجة شمالا.

وبالعودة إلى حملة الحبشة : كان إمتداد دولة مصر على سواحل البحر الأحمر من شأنه أن يجر المشاكل مع بلاد الحبشة ، وكان لمصر من المواني على هذا الساحل " زيلع " و " مصوع " و " سواكن " وكلها كانت للحبشة فى الأصل وأخذتها تركيا ثم نقلتها إلى الخديوى إسماعيل . وبعد دخول هذه المواني فى حوزة مصر لم يعد للحبشة طريق إلى البحر

وبذلك حرمت الحبشة من التجارة الدولية . أضف إلى ذلك قام الخديوى إسماعيل بتشجيع التجارة بين تلك الموانى التابعة للتاج المصرى والأقاليم التى تحت سيادة ملك الحبشة ، فخشى الأخير تدخل المصريين فى بلاده ، وهكذا توترت العلاقات توترا شديدا عندما عين الخديوى "مسنجر" حاكما على ميناء مصوع. وهنا خشى ملك الحبشة أن يكون تعيين مسنجر مقدمة لهجوم المصريين لإحتلال الحبشة ، لذلك سارع ملك الحبشة فى طلب النجدة من بريطانيا وفرنسا لكن الحكومة البريطانية إنحازت إلى جانب الخديوى إسماعيل ، بينما فرنسا إنحازت إلى جانب ملك الحبشة إنتقاما من لندن والقاهرة. وعليه قامت فرنسا بإرسال المؤن العسكرية والأسلحة إلى ملك الحبشة. وفى أكتوبر ١٨٧٥ أمر الخديوى إسماعيل بتحرك الحملة المصرية الأولى إلى الحبشة بقيادة ضابط دانمركى يدعى " أرندرب " وكان معه من القادة المصريين "أراكيل" شقيق نوبار باشا (مصرى من أصل أرمنى) وعدد من كبار الضباط المصريين منهم العقيد على رائف والعقيد أحمد فوزي والعقيد أحمد سعيد قومندان المدفعية والعقيد عمر رشدي أركان حرب ونحو ٢٥٠٠ جندى مصرى ، وقد إنضم إلى هذه الحملة عند وصولها للحبشة مسنجر الذى كان يحرض الخديوى على إرسال هذه الحملة ويؤكد له سحق الأحباش ومن معهم من الفرنسيين بسهولة. وعندما وصلت الحملة المصرية على مدينة "أسمرة" بدأ القتال حيث هجم نحو

ثلاثين ألف جندى حبشى وعدد لا بأس به من الفرنسيين علـى قـوات الحملة المصرية البالغ عددهم ٢٥٠٠ جندى مصرى فقط . ووقع قتـال عنيف على الشاطىء الأيسر من نهر مارب عنـد منطقـة "جونـدت" ، وبالطبع كانت الغلبة لذلك العدد الضخم الذى يزيد عدده عن عشرة أمثال عدد القوات المصرية. فى الوقت نفسه تم هزيمة الفرقة المصرية التـى أرسلت بقيادة مسنجر الذى كانت خطته تتمثل فى الهجوم على الأحباش بمساعدة منليك . فلما جاءت تلك الأخبار السيئة إلـى مصـر غضـب الخديوي إسماعيل ، وقررت قيادة الجـيش المصـرى رد إعتبارهـا . وبالفعل تم تشكيل الحملة الثانية التى بلغ عددها نحو ١٦ ألـف جنـدى مصرى وذلك فى عام ١٨٧٦ الموافـق ١٢٩٢ هجريـة . فقـد أمـر الخديوى إسماعيل بإرسال ثلاثة فرق إلى الحبشة بطريق البحر الأحمـر إلى مصوع وعهد بقيادة الجيش إلـى راتـب باشـا سـردار العسـاكر المصرية، وشدد الخديوى على أن يكون راتب باشا ملتزما بأوامر أركان حربه الجنرال لورنج (وهو أميريكاني الجنسية ولا يعرف فنون القتـال العسكرية فى أفريقيا ، وكل مؤهلاته وخبراته العسكرية أنه كان رئـيس فرقة في الحرب الأمريكية ضمن الفرق الغير المنتظمة أي الإحتياط ممـا يعنى أنه كان قليل الخبرة حتى فى الحروب الأهلية الأمريكية) . ويـذكر أن غالبية ضباط أركان الحرب الذين كانوا مع لورنج مـن الأمـريكيين والأوربيين وهو ما جعل تفاهم راتب باشا معهم صعبا للغاية لقلة خبرتهم

فى الحروب الأفريقية ، ولعل ذلك كان أحد الأسباب الرئيسية فى إرتفاع نسبة الخسائر التي لحقت بالمصريين في تلــك الحملـــة . ومـــع ذلــك إستمرت الحملة المصرية فى طريقها للحبشة متخذة فـــى ذلـــك طريـــق السويس ، وما أن وصلت إلى هناك حتى تم تقسيم الجيش المصرى إلى عدة أقسام ، قسم عسكر بقرية حرفيقوا بجنوب مصوع التى تقع علــى بعد خمسة أميال منها، وقسم آخر بقرية أم كللو غرب مصوع على بعد ستة أميال منها ، وقسم ثالث بقرية حطملوا الواقعة ما بين مصـــوع وأم كللو . ونظرا لعدم وجود ماء لهذا الجيش الكبير قامت مجموعـــات متخصصة بحفر الآبار لكنهم لم يجدوا إلا القليل من الماء الذى لا يكفيهم ثلاثة أيام ثم يصير مملحاً . ونظرا لأن أحمد عرابى كان بعهدته عشـــرة آلاف حيوان من الجمال والخيل والبغال لمتطلبـــات الحملـــة العســكرية وجميعها يحتاج إلى ماء كثير ، لذلك أمر عرابى جنوده بحفر بئـــر فـــي قرية أم كللو نظرا لبعدها عن البحر أملا فى أن يكون ماؤها عذبا وهـــو ما حدث بالفعل . وعليه أمر عرابى جنوده ببناء سور قوى بالحجر حول البئر العذب ، إضافة إلى بناء حوض بجانبه بلغ امتداده ثلاثـــون متـــراً وعرضه متران خاص لشرب البهائم المذكورة ، كما أقام عرابى علـــى البئر ساقية حديدية استحضرها معه من مصر لرفع المياه كى تصب في حوض كبير مستدير لتسقي أبناء البلدة ومستخدمي محافظة مصـــوع . ومكثت الحملة المصرية فى هذه المنطقة ثلاثة أشهر كاملة بغير عمـــل

ولا تدريب على فنون القتال الذى يتلائم مع طبيعة تلك المناطق ، وكادت الصلة تنعدم بين القائد الأمريكي "لورنج" وقيادة التشكيلات خاصة وأن لورنج رفض إجراء أى تدريب أو حتى تمارين قتالية للجنود . وفي تلك الفترة كان الخديوى يرسل كثيراً من المؤن وخاصة الطرشي (المخلل) والفجل والبصل والكرات خشيه حدوث مرض (الإسقربوط) بين الجنود . ويذكر هنا أن جميع كبار قادة أركان حرب الحملة المصرية كانوا من العنصر الجركسى إلا واحداً فقط هو محمد بك جبر فقد كان مصرياً خالصا . أما على الجانب الآخر ، فقد كانت قوات الحبش بما فيهم من العناصر الفرنسية تقدر بنحو ٤٥ ألفا أى نحو ثلاثة أضعاف الحملة الثانية المصرية ، وقد كانت تلك القوات الحبشية تحسب للجيش المصرى ألف حساب طبقا لمعرفتهم بالجيش المصرى ومعاركه فى أفريقيا وأسيا والجنوب الأوربي فى عهد القائد المصرى الأسطورة إبراهيم باشا الذى ضم السودان وجنوبه والجزيرة العربية كاملة وبلاد الشام وبعض أجزاء من الجنوب الآوربى. ومع طول الوقت الذى أخذته الحملة فى الراحة وعدم الإسراع فى تنفيذ المهمة الموكولة إليها إزداد قلق الخديوى إسماعيل ، لذلك بعث رسالة عاجلة إلى القائد العام راتب باشا ورئيس أركان حربه أمره بسرعة الزحف على البلاد الحبشية . ثم أرسل الخديوى إبنه حسن باشا ليشهد بنفسه ما يدور هناك ، وليشاهد بنفسه المعارك الحربية ويتدرب فيها بإعتباره أحد ضباط الجيش . وفى مصوع

صدرت أوامر قائد الحملة الجنرال لورنج الأمريكي الجنسية بالزحف إلى الحبشة ، وبالتالى أمر قائد الجيش راتب باشا ضباطه بالإستعداد للحرب وأمر أحمد عرابى بأن يسلم كل كتيبة خمسين جمــلاً لحمــل ذخيــرتهم الحربية وخيامهم ومؤونتهم . وهكذا تحرك الجيش المصــرى يتقدمــه راتب باشا ومعه الفرقة الأولى التى يقودها اللواء عثمان رفقــي باشــا وأركان حربه ليلاً في أول يوم من شهر أغسطس سنة ١٨٧٦ ، وفــي ظهر ذلك اليوم سار خلفهم عرابى بحملة قدرها خمسمائة دابة محملــة بالمؤن والعتاد ومعه عدد من السرايا بقيادة البكباشي فرج عبد العــال الشهير بــ(الدكر) . وفي اليوم الثاني توجه عرابى ومن معه إلى خــور (بعرظا) ، وعندما وصلوا إليها وجدوا فى إستقبالهم عــدد كبيــر مــن عساكر الفرقة الأولى التي عسكرت على شاطئ هذا الخور ، ولم يكــن معهم من الطعام إلا القليل حيث كان لا يصرف للجندى سوى مائة درهم فقط من البقسماط ، ومائه أخرى من اللحم البقري في اليوم الواحــد . وهنا صرح عرابى لهؤلاء الجنود بالأكل حتى شبعوا على أن لا يأخذوا معهم شيئاً . وظل عرابى معسكرا فى بعرظا حتى وصلت إليــه الفرقــة الثانية بعد ثلاثة أيام ، فى الوقت نفسه زحفــت الفرقــة الأولــى إلــى (قياخور) ، وتبعتها الفرقة الثانية إلى قياخور أيضاً ، ومنها إلى (قرع) بفتح الراء . ثم صدر أمر قيادة الجيش باتخاذ (بعرظا) مركــزاً رئيســيا للحملة والمؤن والذخائر الحربية وهى تقع بين مصوع وقرع . وفي تلك

الفترة كانت الذخيرة ترسل يومياً إلى قرع استعدادا لإمداد الجيش في حال تقدمه إلى مدينة (عدوى) عاصمة مملكة الملك يوحنا . وهنا حدث ما لم يكن متوقعا : كان أحد القساوسة من الفرنسيين المبشرين بالمسيحية في بلاد الأحباش يحضر كل يوم إلى رئيس أركان حرب الجيش المصرى الجنرال لورنج (الأمريكي الجنسية والذى وضع الخديوى ثقته فيه) ويجلس معه منفردا لساعات طوال مستعلما منه كل شيء حول تطور الأوضاع داخل الجيش المصرى، ثم يتركه متوجها إلى ملك الأحباش يوحنا ليطلعه على أخبار الجيش المصرى بكافة التفاصيل، ثم يعود ثانية إلى لورنج في اليوم التالى وهكذا . وقبل المعركة الفاصلة إتفق القس الفرنسى الجاسوس مع قائد الأركان الخائن لورنج(الأمريكى الجنسية) على إشارة معينة تكون سبباً لهلاك الفرقة المصرية عند بداية الحرب بين الجيش المصرى والحبشي . وعليه حشد ملك الحبشة جيشه وكان عدده يزيد على الأربعين ألفا من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال للدفاع عن بلادهم ، وإقترب بجيشه من الجيش المصري الذى كان معسكرا في منطقة قرع . وفي ١٢ سبتمبر ١٨٧٦ تحرك عرابى بآخر حملة من المركز الرئيسى فى بعرظا ومعه ثلاثة كتائب بقيادة اللواء راشد باشا كمال حتى وصلوا جميعا إلى مرتفع (بمبا) والتى كانت تعد من الحصون الصعبة الوصول إليها نظرا لإرتفاعها الشاهق عن سطح البحر والذى يقدر بنحو ثلاثة آلاف قدم بحيث لا يمكن للراكب أن

يجتازها على ظهر جواده أو مطيته ، والحل الوحيد لإجتيازها هو السير على الأقدام لصعوبة الصعود إليها أو الهبوط منهـا ، ولا تمـر فيهـا الدواب إلا الواحدة بعد الأخرى . وأخيرا تم إجتيازهـا بصـعوبة بعـد سقوط بعض الجمال بأحمالهم من أعلى ذلك المرتفع إلى أسفل الوادي . ثم تابع الجميع السير حتى وصلوا إلى خور عدرسا (وهو عبـارة عـن مجرى السيل في منخفض الوادي) . وعسكر الجميع فى ذلـك الخـور الذى يوجد على شاطئه غابات من نخل البلح قيل أنهـا مـن مخلفـات عساكر السلطان سليم الذين قدموا منذ عشرات السنين وأكلـوا التمـر وألقوا بنواته علي شاطئ الخور المذكور فنبتت النخيل فيه بعد ذلـك . وفي يوم ١٣ سبتمبر ١٨٧٦ تحرك عرابى واللواء راشد باشا وعساكره إلى الأمام حتى وصلوا إلى (سهل عالا) وهو سهل واسع كثير الأشـجار وهناك سمع الجميع دوى المدافع المتتابع ، وتلك كانت الحـرب بـين الجيش المصرى والأحباش . وهنا يقول عرابى: " عندما سـمعنا دوى المدافع أسرعنا في السير حتى وصلنا إلى قلعة السلطان سـليم الكائنـة فوق سفح جبل قياخور وكان ذلك بعد غروب الشمس بساعتين ... وبعد انقطاع أصوات المدافع حططنا الرحال وهيأنا الطعام للعسـاكر والعلـف للدواب ... وبعد استراحة قصيرة استأنفنا السير ليلاً ، فارتقينـا عقبـة قياخور في نحو ساعتين ووصلنا إلى فرقة قياخور التـي كـان قائـدها اللواء عثمان باشا رفقي ... فتقدمنا منه وهو جالس يدفىء نفسه بنـار

موقدة أمامه من شدة البرد ... وسألناه عن الوضع على أرض القتال ، فأجابنا وهو في حيرة وإندهاش عظيمين بأن فرقة قرع هزمت في المعركة (كانت الفرقة مكونة من سبعة كتائب مشاة وكتيبتان مدفعية) ... فأحزننا هذا الخبر المفجع ، وجلسنا معه إلى نصف الليل حتى جاءت إشارة ضوئية تفيد بأن راتب باشا وحسن باشا ابن الخديو وجميع قادة أركان الحرب الأمريكيين وصلوا إلى مركز الفرقة سالمين ، أما راشد باشا والعميد محمد جبر وبقية الضباط والعساكر فقد إستشهدوا في المعركة ، وأخذ البعض أسيراً ، ولم يبق في المركز الرئيسى إلا كتيبة واحدة من العساكر المستجدة من صغار السن وقليلى الخبرة " .

ولكن الذى حدث على أرض المعركة كان خيانة كبرى للجيش المصرى من قبل قائد أركان الجيش المصرى الجنرال الأمريكى لورنج الذى نقل كل أسرار الجيش المصرى إلى القس الفرنسى الجاسوس الذى قام بدوره بنقل أخبار الجيش المصرى إلى ملك الحبشة يوحنا . وقد تبين التالى: لما علم الجنرال الأمريكى بأن الملك يوحنا فرغ من تجهيز جيشه من الأحباش وبعض الضباط الفرنسيين تحرك بهم إلى أن وصل على مسافة ونقطة متفق عليها فى منطقة قياخور ، وهناك حصول الجيش الحبشى على الإشارة المتفق عليها مع القس الفرنسى الجاسوس، هنا فقط أعطى لورنج أوامره إلى قائد الجيش المصرى راتب باشا بالخروج بقواته إلى العراء من قلعة قرع وكان ذلك في صباح يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٨٧٦م

ويذكر أن تلك القوات كانت مكونة من سبعة كتائب مشـــاة وبطاريتـــان مدفعية . وما أن وصلت القوات المصرية إلى تلك النقطة التي اتخـذت ميداناً للقتال والتى تبعد نحو مسافة ميلان من قياخور فوجئ الجميـع بوابل من نيران العدو من كل مكان ، وهو ما ألحق ضررا بالغا بالقوات المصرية. لقد جعل الجنرال لورنج من القوات المصـــرية هـدفا ســـهلا ومكشوفا لقوات العدو ، فقد أمر بتحريك كتائب المشاة المصرية علـــى شكل طابور والمدفعية على يمينه ، وكان وراء الجيش المصرى جبــل وأمامهم خور عميق وهو ما جعلهم محاصرين وهـــدفا ســـهلا لجـــيش العدو، فى الوقت نفسه أمر لورنج أركان حربه من الضباط الأوربيـــين والأمريكيين بالإختباء والإحتماء خلف الجبل أى بعيدا عن ساحة القتال . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، فقد قام الجنرال الأمريكى ومن معه من أركان حربه مـــن الأمـــريكيين والأوربيـــين بإلقـــاء زيهـــم العســـكرى وطرابيشهم المصرية الرسمية جانبا ولبسوا بدلا منها قبعات أمريكيـــة ، ثم ربطوا فى أعناقهم مناديل بيضاء وهى من الإشارات المتفق عليهـــا والتى تدل على أنهم مسيحيون وذلك للتفرقـــة بيـــنهم وبـــين الجنـــود المصريين . وهكذا هرب الجنرال الأمريكى ومن معـــه مـــن الأوربيـــين وترك الجيش المصرى بلا قيادة ومكشوفا تماما للجيش الحبشى.

وفي ١٤ سبتمبر ١٨٧٦ أطلق الأحباش وابل من قنابل المدفعية علـــى الجيش المصرى ، ثم هجم الأحباش هجوماً شديداً مريعا على القلعـــة ،

إلا أن عساكر الكتيبة المستجدة وضباطهم وراتب باشا ومن معه من الكتائب المعاونة أبلوا بلاء حسناً وردوا الأحباش إلى مواقعهم السابقة . وفى تلك المعركة شوهد راتب باشا وهو يصب ناراً حامية بيده على الأحباش الذين حاولوا الصعود إلى قمة القلعة ، وكان المقدم على الروبى قائد كتيبة الخيالة يطوف القلعة مراراً ويحث الجنود ويشجعهم على المقاومة والدفاع عن النفس حتى ملئت الخنادق وما حولها بجثث الأحباش ، وقد بلغ عدد قتلى الأحباش فى ذلك اليوم وحده نحو عشرين ألفاً وهو ما لم يكن يتوقعه الأحباش على الإطلاق ومن معهم من الضباط الفرنسيين . وعندما أخذت المدفعية المصرية في قذف الأحباش بنار حامية إضطر جيش الأحباش إلى الإنسحاب بعد أن فقد نحو ٥٥% من قواته فى هذه المعركة . وعندئذ قسم الملك يوحنا جيشه إلى ثلاثة أقسام فذهب قسم إلى خور يخفيه عن القوات المصرية. وقسم آخر دار على يمين المصريين بالأسلحة البيضاء ، وقسم ثالث ذهب إلى شمال المصريين في خور أيضاً ومعه الحراب والسيوف ، إضافة إلى قسم مسلح بالبنادق قصد قلب المعركة مستتراً بالأشجار الملتفة فى عملية إخفاء وتمويه . وقد حدث كل ذلك تحت نيران المدافع الحبشية ، ثم اشتبك الجيشان في قتال عنيف ، إضطر الجيش المصرى إلى التقهقر لإعادة تنظيم صفوفه . وهنا اغتنم الأحباش بعض الأسلحة والذخائر المصرية . وفى النهاية بلغت خسائر المصريين نحو ٤٠٠٠ جندى ،

بينما خسائر العدو بلغت نحو ٢٥ ألف جندى حبشى ، وفى تلك الأثنـــاء صدرت الأوامر من القاهرة بوقف القتال لإعطاء فرصة لعقد تصالح مع ملك الحبشة . وبالفعل عقد الطرفان المصرى والحبشي إتفاقيـــة صـلح وقع عليها ملك الحبشة يوحنا ووقع عن الجانب المصرى العقيـد علـــى أفندي الروبى الذي رجع إلى مصر وترقى إلى رتبة عميد .

وعادت بقايا الحملة المصرية إلى القاهرة ومعها أحمد عرابى ، وطلـب الخديوى إجراء تحقيقات حول أسباب إخفاق الحملة فى مراحلها الأولى. وكشفت تلك التحقيقات عن أن أسباب فشل الحملة يرجع إلى عدم توحيد القيادة المصرية أثناء سير الحرب ، ووجود خلاف بـين راتـب باشـا ولورنج وكذلك الأمير حسن إبن الخـديوى إسـماعيل . كمـا كشـفت التحقيقات عن عدم كفاءة لورنج فى القتال الميدانى عامة والقتـال فـى أفريقيا خاصة، كما أبرزت التحقيقات عن تفرغ راتب باشا لحماية الأمير حسن وسلامته مما أثر سلبا على كفاءته القتالية فى الميدان ، وأكـدت التحقيقات أيضا أن راتب باشا كانت تنقصه الجرأة كقائد ميدانى مهـاجم ومن ثم كان إختياره خطأ كقائد ميدانى متقدم . كما كشفت التحقيقات عن الخيانة التى لحقت بالجيش المصرى والأعمال التجسسية الفرنسية التى أضرت بالقوات المصرية . وبعد وضع التقرير النهائي وأخذ الـدروس المستفادة وضعت النياشين فوق صدور بعض القادة . أما أحمد عرابى فقد طلب منه الذهاب إلى رشيد للقيام بمهام عسكرية هناك.

(٣)

الخديوى إسماعيل والوزارة المختلطة
وبداية ثورة الضباط المصريين

سوء الحال في البلاد : في يوليو سنة ١٨٧٧ كتب معتمد إنجلترا إلى حكومته يقول : "إن الحكومة المصرية مواظبة على دفع أقساط الدين ودفع الجزية على الرغم من نفقات الحرب الأخيرة " . لكنه أبدى تخوفاً من سوء العاقبة لأن الفلاحين يئنون من تحمل عبء الضرائب ، إضافة إلى ما حكمت به المحاكم المختلطة في أحوال كثيرة لمصلحة الأجانب الدائنين ضد الحكومة والأمراء ولكن لم تستطع المحاكم تنفيذ الأحكام .

لجنة التحقيق عام ١٨٧٨ : زاد اضطراب الخديوى وقلقه بسبب حدة الرأي العام في مصر وفي الخارج بسبب عدم قدرة الحكومة على القيام بمسئولياتها المالية تجاه الدائنين. عند ذلك اقترحت بريطانيا وفرنسا على مصر إنشاء لجنة دولية عامة للتحقيق في جميع شؤون الحكومة المالية والإدارية لكن الخديوى إسماعيل تردد أولاً ، وبعد ذلك وافق وطالب بأن يكون الغرض من إنشاء تلك اللجنة هو بحث إيرادات الحكومة . وبالفعل أصدر الخديوى أمراً بذلك وتألفت اللجنة بتاريخ ١٤ أبريل سنة ١٨٧٨ وكان لها سلطات واسعة في التحقيق . والمؤسف أن بريطانيا وفرنسا أصرتا على أن تضم هذه اللجنة فى عضويتها مندوبي الدول المساهمة

في صندوق الدين أي أن الدائنين هم الذين سيتولوا التحقيق مع غريمهم الخديوى إسماعيل وأصبح لهم سلطة التحقيق والحكم عليه أيضا . وكان يمثل انجلترا في اللجنة السير "ريفرس ولسون "Rivers Wilson كوكيل للجنة والكابتن "بارنج" مندوب انجلترا في صندوق الدين ، ومثل فرنسا " دى بلنيير De Blignieres" . وكان رياض باشا الوكيل الثاني للجنة وممثلا للحكومة المصرية . وقد عين المسيو " ديلسبس" رئيساً ولكنه سافر إلى فرنسا وترك الأمر في يد وكيل اللجنة " ولسون" والكابتن "بارنج" (حل محله اللورد كرومر فيما بعد) وكان كل من ولسون وبارنج يعملان ضد الخديوى توفيق على طول الخط ، لذلك سار التحقيق غير عادلا وظهرت الخلافات والعنصرية من قبل الإنجليز ضد خديوى مصر .

استقالة شريف : كانت أول إهانة لحقت بالخديوى من تلك اللجنة عندما أصر وكيل اللجنة الإنجليزي على دعوة شريف باشا وزير الحقانية للظهور أمامها والتحقيق معه . وكان نتيجة هذا الإصرار الإنجليزي أن استقال شريف باشا . ويبدو أن الإنجليز أرادوا من إقالة شريف محاولة إرهاب المصريين بحيث يبدو للشعب المصرى وكأن للجنة سلطات أعلى من سلطات الخديوى إسماعيل ووزرائه . وبعد إجراء التحقيق خرج تقرير اللجنة المبدني يشير إلى نقد سلطة الخديوى الشخصية باعتبارها سلطة إستبدادية وأنه لا إصلاح سياسى وإقتصادى فى مصر إلا إذا تم

تحديد سلطة الخديوى إسماعيل وتأليف وزارة مسئولة وتنازل الخديوى والأمراء عن أجزاء كبيرة من أراضيهم للحكومة مقابل مخصصات مادية تصرف لهم شهريا . ومع كل ذلك قبل الخديوى العمل بتلك الاقتراحات وتنازل عن جزء كبير من ممتلكاته بلغ نحو ٤٢٣,٠٠٠ جنيه فى العام . كما قام الخديوى باستدعاء نوبار باشا من أوربا بالبرق ليبدأ تنفيذ مقترحات اللجنة الذى قبله الخديوى . وكتب الخديوىأيضاً خطابه الخطير ذا الأهمية الدستورية إلى نوبار باشا في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ وقال فيه " ... وأريد عوضاً عن الانفراد بالأمر الذي هو قاعدة الحكم في بلادنا بحيث يتمثل ذلك فى سلطة يكون لها حق الإدارة العامة للبلاد ويفضل أن يوجد فى نفس الوقت سلطة أخرى تعادلها قوة هى مجلس النظار(الوزراء) ، ويجب أن يكون النظار متضامنين وأن يسرى العمل طبقا لرأي الأغلبية . وتكون رئاسة مجلس النظار مسئولة عنهم . وأرى أن تشكيل هيئة نظارة وحيازتها لهذه المزايا ليس مخالفاً لعاداتنا ولا لآرائنا وأفكارنا بل موافقاً لأحكام الشريعة الغراء ".

الوزارة المختلطة : قام نوبار باشا بتشكيل الوزارة الجديدة واحتفظ لنفسه بوزارة الخارجية والحقانية ، وأخذ رياض باشا الداخلية وشريف باشا الحربية، وأسندت المعارف والأوقاف إلى على مبارك . وقبل الخديوى تعيين السير "رفرس ولسون" الإنجليزى لوزارة المالية والمسيو "دى بلنيير" الفرنسى لوزارة الأشغال . وتم الإتفاق على إلغاء الرقابة

الأجنبية شريطة أن تعود الرقابة ثانية فى حال الإستغناء عن أحد الوزيرين الأجنبيين(الإنجليزي والفرنسي) . وبدأت الوزارة عملها بعقد قرض بمبلغ ٨,٥٠٠٠,٠٠ جنيه بضمانة ممتلكات الأسرة الخديوية التي تنازل عنها الأمراء وقدرها ٤٢٥,٧٢٩ فداناً وهي التي عرفت بأراضي الدومين وعين مجلس لإدارتها مكون من ثلاثة مندوبين هم : إنجليزى وفرنسي ومصرى .

هجوم الوزارة المختلطة على الخديوى : وعلى أثر ذلك ظن الناس أن الأزمة قد انفرجت غير أن هذا النظام الدستورى لم يأت بالفائدة المرجوة لأن نوبار نفسه كان يعمل لصالح الإنجليز وضد الخديوى إسماعيل، ولذلك لم يتمكن الاثنان من العمل معاً . أضف إلى ذلك أن نوبار لم يكن يعرف اللغة العربية ، لذلك كان اتصاله بالشعب المصرى ضعيفاً ، وكان يعتمد في وزارته على زميليه الأجنبيين (البريطانى والفرنسى)وحكومتيهما فى الخارج . وقد بلغ من جرأة ووقاحة نوبار أن حرم الخديوى إسماعيل من كل سُلطة ونفوذ ، وأصبح الخديوى إسماعيل في وزارة نوبار لا قيمة له وهو ما أساء كثيرا للمصريين . وبصفة عامة فأن وجود الإنجليز والفرنسيين في الوزارة لم ينقذ مصر من المخاطر التى كانت تتهددها لأن رجال بريطانيا وفرنسا فى مصر عجزوا عن اكتساب عطف الخديوى ومودته وكان هذا أول إنذار بفشل التجربة ، ثم ان وجود الإنجليز والفرنسيين بالحكومة قد ساعد على

إثارة الرأي العام المصرى ضدهم ، إذ رأى الشعب أن الأجانب قد حلــوا محل الوطنيين المصريين وأن البلاد يمتص دماؤها في سـبيل إرضــاء الأجانب ودفع رواتبهم وفوائدهم المستحقة ، أضف إلــى ذلــك خرجـت الشائعات البريطانية المغرضة تشير إلى رغبة الخديوى في التخلص من المصريين وخاصة الحركات الوطنية، وقد ساهم فى إنتشار تلك الشائعات الموالين للإنجليز والمقربين من الخديوى فى نفس الوقت حتــى تلصـق الشائعات بالخديوى. ووسط كل ذلك نشطت الحركات الوطنية المعاديـة للنفوذ الأجنبى فى مصر خاصة ضد الإنجليز والفرنسيين. وعليــه بـدأ العلماء والأعيان يجتمعون في منزل السـيد البكــرى نقيـب الأشــراف ويرفعون الشكاوى للخديوى إسماعيل ويتهمون نوبار باشــا ووزارتــه بالخيانة وبممالأة الأعداء الأجانب وتحديدا الإنجليز والفرنسيين. ومــع تزايد إستخفاف الوزارة المختلطة بحقوق المصريين والإعــراض عــن مصالحهم حدث إرباك شديد لنظام الحكم فــى مصــر وتحديــدا بعــد أن هاجمت الوزارة المختلطة كبار ضباط الجيش المصري ثم توقفهــا عــن صرف مرتباتهم الشهرية. وقد أدى ذلك فى النهاية إلى اتفــاق نبهــاء الأمة وضباط الجيش على إنقاذ البلاد من تدخل الأوربيين فــى شــئونهم الداخلية والعمل على حفظ حقوقهم واسـتقلالهم وإدارة أمــور بلادهــم بأنفسهم . يذكر أن عداء المثقفين المصريين ضد الأجانب بدأ فى التزايد منذ تكوين مجلس شورى النواب عام ١٨٦٦ وتحديــدا بعــد تــدخلهم

السافر فى شئون مصر الداخلية ، وقد فسرت القنصلية البريطانية هذا الشعور تجاه الأجانب من طبقات غير المتعلمين في تقرير سجلته سنة ١٨٧٣ جاء فيه أن الشعور العدائى للأجانب يرجع إلى سببين هامين هما : الدين والاقتصاد ، أما الدين فيتركز في إتهام بعض الأقباط للطبقات الغنية المسلمة بتهاونها حيال النفوذ الأجنبي الأوربي ، وأما السبب الثاني فينبع من ارتفاع نسبة الفقراء وحرماتهم من الحصول على معظم مطالبهم الضرورية نتيجة للضرائب التي يفرضها الخديو للوفاء بمطالب الماليين الأوربيين. وإذا كانت مشاعر سخط المصريين وكُرههم للنفوذ الأجنبي(الأوربى عامة والإنجليزى والفرنسى خاصة) في مصر قد نمت منذ فترة طويلة لكن أمكن ملاحظته بوضوح منذ عام ١٨٧٦ ، وانتشرت مشاعر السخط مع عام ١٨٧٧ في كل مدن مصر وقُراها وفي داخل جيشها . وكان ذلك هو بداية تكوين النواة الأولى التي خرجت من رحمها الجمعيات السرية التي كانت بذورها مقدمات للأحزاب السياسية في مصر والتي ظهرت للعلن فى أواخر عام ١٨٧٧ وبدايات عام ١٨٧٨ . ومن أهم الجمعيات السرية التى ظهرت فى ذلك الوقت لمقاومة التدخل الأجنبى فى مصر "جمعية الدراويش" التى عرفت بعد ذلك بـ "جمعيات الإخوان المسلمين" . (يذكر أن هناك جمعيات سرية أنشئت فى عهد الخديوى سعيد لكنها كانت تحت سيطرة المسلمين الهنود الذين كانوا يدرسون بالأزهر ولهذا كانت ذات شخصيه دينية). ولكن

علينا أن نضع فى الإعتبار أن بداية تأسيس الجمعيـة السـرية لضـباط الجيش المصرى الوطنى قد بدأت بكل تأكيد فى أوائل عام ١٨٧٦ ، وقد أنشأها علي الروبي وأحمد عرابي واشترك فيهـا أيضـاً علـي فهمـي وغيرهم ، وكانت تنـدد بالأوضـاع الإقتصـادية المترديـة والتفـاوت الإجتماعى. وكان لأحمد عرابي دور بارز منذ البداية فكان يحث الجنـود على الاتحاد والتعاون ، وعمل أيضاً على غرس الـروح الوطنيـة فـي قلوبهم وتعريفهم بالفضائل العربية . وقد كشف سر هذه الجمعية علـي مبارك الذى أخبر الخديوى إسماعيل بكل تفاصيلها وكان يسعى من وراء ذلك القضاء عليها . ولكن الخديوى إسماعيل فضل العمل على إستمالتها إليه أملا فى وقوفها بجانبه ضد الإنجليز والفرنسيين والألمان وتحديـدا بسمارك الذى كان يكره الخديوى إسماعيل كرها شديدا . لكـن جمعيـة الضباط المصريين كانت تقترب حينا وتبتعد حينا عن الخـديوى ، وفـى النهاية حسمت أمرها بالإبتعاد عنه وإتخاذ موقف عدائى واضح وهو ما يعد خطئا إستراتيجيا فى ذلك الوقت حيث إستغل العـدو الأجنبـى ذلـك الخلاف وقام بالتنكيل بكل منهما على حدة . ويذكر أن هـذه الجمعيـة كان لها برنامج خاص بها ، لذلك قررت أن تحتفظ بطابع السرية فيهـا وظلت اجتماعاتها سرية ودائما ما كانت تتم ليلاً ، وقد اهتمت المخابرات البريطانية وأخذت تراقبها وتبحث عن الشخصية التي كانت وراءها ، إلى أن أعلنت فى وقت قاتل أن الأمير حليم باشا هو المسئول عنها(يذكر أن

حليم باشا هو الإبن الأصغر لـ محمد علـي الكبيـر الـذي كـان مـن المفروض أن يتولى الحكم بعد إسماعيل باشا لولا التغيير الذي حدث في قانون وراثة العرش بتولي أبناء الخديوى إسماعيل الحكم من بعده بدلا من أبناء محمد علي) . وكان شريف باشا السكرتير الخاص للأمير حليم منذ عام ١٨٥٢م ، وقد أكسبته ثقافته العسكرية احترام العسكريين .

نشير هنا إلى تنظيم جمعية الضباط السرية التى أصبحت نـواة الحـزب الوطني فيما بعد ، والذي يُعد البداية الحقيقية كحركة شعبية خلاقة ، فقد كان يضم مجموعة من الضباط المتحمسين منهم بالإضافة إلـى أحمـد عرابى، محمد عبيد ، وخضر خضر ، وعلي فهمي ، وعبد العال حلمي ، وألفي يوسف وغيرهم من الضباط والجنود المصـريين أبنـاء الطبقـة المتوسطة والبرجوازية . ولم يكن هذا التنظيم معـزولاً عـن الفئـات الأخرى من أبناء المجتمع ، فقد كان عبد الله النديم ضمن هذا التنظـيم وأصبح فيما بعد خطيب الحزب الوطنى والمتحدث بلسانه. وقـد لعـب جمال الدين الأفغانى دورا بارزا فى جمعية الضباط السرية وإستمر كذلك حتى بعد تحولها إلى الحزب الوطنى ، والمعروف أن الأفغانى جاء إلـى مصر أول مرة فى عام ١٨٧٠ وأقام بها أربعين يوماً اتجه بعدها إلـى الآستانة وعاد ثانية إلى مصر عام ١٨٧١ وقد ساعده رياض باشا فـى البقاء بمصر . ويعد الأفغاني من الوجهة الفكرية أبـا لثـورة الضـباط .

الوطنية أو ما أطلق عليها بعد ذلك بالثورة العرابية. ومن تلاميذ الأفغانى ومريدوه عبد الله النديم ومحمود سامي البارودي، والشيخ محمد عبده .
وبالعودة إلى أحمد عرابى ، فنجد أنه فى أوائل عـــام ١٢٩٦ هجريـــة أصدرت قيادة الجيش أمرا بحضور أحمد عرابى وبعض رفاقه من رشيد إلى العاصمة كى يقوموا بتسليم أسلحتهم ومهماتهم وصرف العساكر إلى بلادهم . فحضر عرابى ومعه ثلاثة كتائب مشاة ، وقام الجميع بتســليم مهماته يوم وصوله إلى القاهرة. وفي صباح اليوم الثالي ذهب عرابـــى إلى منزل محمد بك النادي الذي جاء مع عرابى من رشيد. وبينما همـــا جالسين بمنزل محمد النادى حتى جاء أحد الضباط العاملين بكتيبة النادى وهو برتبة نقيب ويدعى أحمد أفندي نجم ، وأخبر قائده (محمد النـــادى) بأن تلاميذ الحربية وبعض الضباط أحاطوا بوزارة الماليـــة فـــى شـــكل تظاهرة وطالبوا برواتبهم . وأضاف النقيب: وأثناء ذلك جـــاءت بعـــض العساكر وأطلقت النار عليهم دون مبرر يذكر . وهنا يقول عرابى : " لقد شغلنا ذلك الحدث ، فأرسلنا أحد الضباط ليأتينا بحقيقة الأمر ... ولما عاد الضابط أخبرنا بأن الخديوى إسماعيل كان يشعر بإضطرب وقلقٍ شديدين من ضغوط الوزارة المختلطة التي يرأسها نوبار باشا وعضوية ريـــاض باشا وعلى مبارك والسير ولسن الإنجليزي و دى بلنيير الفرنســاوي ، ولما أراد الخديوى إسقاط تلك الوزارة قام جاهين باشا كنج (أحد رجـــال الخديوى) بخلق نوع من التوتر المنضبط ، وهو ما دفع صهره لطيـــف

بك سليم الضابط بالمدرسة الحربية على أخذ التلاميذ والذهاب بهم إلـــى وزارة المالية وسمح لمن ينضم إليهم من المواطنين سعيا لتوسيع دائرة التظاهر والتظلم بإخفاق الحكومة فى رعاية حقوق الشعب وبعدم صرف مرتبات الضباط المتأخرة عن عشرة أشهر سابقة ، وأخذ المتظـــاهرون يهتفون أمام الوزارة بسقوط الحكومة المختلطة وضرورة التخلص مـــن الأوربيين وخفض نسب استخدامهم في المصالح الحكومية الهامة حفاظا على خصوصية البلاد ومنع تشغيلهم فى الوظائف ذات الإيـــراد الكبيـــر كالجمارك وميناء الإسكندرية والسكة الحديدية والتلغرافـــات والـــدائرة سنية ومصلحة الدومين وصندوق الدين ومصلحة المساحة وغيرها " .
الجدير بالملاحظة أن كل مصلحة من هذه المصالح التى كان يعمل بهـــا الأوربيون فى ذلك الوقت كانت تعتبر نفسها حكومة مستقلة ، بل ودولة ... الدولة. وفى تلك المظاهرة قام بعض المتظاهرين بصـــفع ولســـن ونوبار باشا على وجهيهما فى منظر هيستيرى مضحك ، كما حقر بعض المتظاهرين من شأن رياض باشا وعلي مبارك . ولكن عندما تطـــورت الأحداث وخرجت عن النطاق الذى كان متوقعا لها وتعاظم خطرها علـــى أمن البلاد تدخل الخديوى وحضر بنفسه إلى وزارة المالية ومعه عميـــد حرس الخديوى علي بك فهمي الشهير (بالذئب المصري) ومعه إحـــدى كتائب الحرس المتخصصة فى فض أعمال الشـــغب . وأمـــر الخـــديوى بإطلاق الرصاص فى الهواء لتفرقة المتظاهرين (أشارت بعض الكتابات

إلى أن الخديوى أمر بإطلاق الرصاص على المتظاهرين وأن عبد القادر باشا حلمي رنيس معاونيه أمر بإطلاق الرصاص فـــى الهــواء لتفرقــة المتظاهرين ، وهذا قول غير حقيقى على الإطلاق لأن الخديوى فى ذلــك الوقت تحديدا توطدت علاقاته جيدا بالعناصر الرئيسية بالحزب الوطنى أو جمعية الوطنيين وذلك بهدف مواجهة الأوربيين بعد أن تعاطفت الآستانة مع الآوربيين ضد الخديوى) . وأنصرف المتظــاهرون حــانقين وهــاج الضباط في جميع ثكناتهم العسكرية واتفقوا على ضرورة مواجهة التدخل الأوربى فى الشأن المصرى، وإعادة النظر فى علاقة الضباط الــوطنيين بالخديوى على أسس واضحة تراعى فى المقام الأول مصــلحة الجــيش وحقوق ضباطه وجنوده وإتخاذ موقف محدد من الحكومــة المختلطــة . ولما علم الخديوى إسماعيل بذلك ذهب على الفور إلى مركز كل وحــدة عسكرية على حده وطيب خواطر الضباط ووعدهم بصرف مســتحقاتهم المتأخرة والعمل على عزل الوزارة المختلطة ، وتعهد الخديوى بتشــكيل وزارة جديدة برئاسة إسماعيل باشا راغب . لكــن بريطانيــا وفرنســا والمانيا أصرت على ترهيب حركة الضباط الوطنيــة وإســتبعادهم مــن العاصمة وذلك بإلصاق تهمة التظاهر ومحاولة إغتيال رجــال الحكومــة المختلطة وخاصة الوزيران الأجنبيان ، وقد حددت أسماء المتهمين مــن كبار الضباط وهم محمد بك النادي وعلى بك الروبي وأحمد عرابى . فى نفس الوقت ضغطت الدول الأوربية الثلاث على الخديوى وهددته بالبقاء

أو عزله من منصبه إن لم يتخلص من الضباط الثلاثة ، وهنا إضطر الخديوى إسماعيل للموافقة على إجراء تحقيق مع هؤلاء الضباط شريطة أن يكون تحت رعايته حتى يضمن نهاية التحقيقات .

محاولة تورط الضباط المصريين: ولحبك المؤامرة ضد الضباط المصريين قام رئيس التشريفات عبد القادر باشا حلمي بإستدعاء كبار الضباط ومعهم أحمد عرابى وأخبرهم بأنهم قاموا بإثارة وتهييج تلاميذ المدرسة الحربية وبعض الضباط ضد الحكومة المختلطة وحصار وزارة المالية والهتاف بإسقاط الحكومة ، وهددهم عبد القادر باشا حلمى بأنه ستجري تحقيقات فى هذا الشأن ، وإذا ثبت إدانتهم فسوف يتم معاقبتهم . وهنا أجابه عرابى ومن معه بأنهم جميعا حضروا إلى القاهرة أمس من رشيد وكانوا جميعا مشغولين بتسليم الأسلحة والمهمات إلى مخازن الحربية وصرف العساكر إلى بلادهم حسب الأوامر الصادر إليهم ، وانه لا علم لهم بتدبير تلك الحركة . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، فقد قام مأمور الضبطية محمود سامي باشا البارودي بإستدعاء عرابى والضباط الذين معه للتحقيق معهم . وهنا يقول عرابى: " عندما حقق معنا محمود سامى باشا البارودى فى تلك الواقعة آنست فيه تأففاً من الظلم والاستبداد وميلاً إلى العدل والدستور" . وبعد كل ذلك عُقد مجلس عسكري فوق العادة للتحقيق مع عرابى ومن معه ، وكان برئاسة الجنرال ستون رئيس أركان حرب

الجيش المصرى (وهو أمريكي الجنسية) وعضوية حسن أفلاطون باشا ومحمد باشا المرعشلي رئيس هندسة الاستحكامات . وفى النهاية انتهى التحقيق وأسدل عليه الستار وكأن شيئا لم يكن.

بعد أسبوع من ذلك الحادث أصدرت وزارة الحربية قرارا بتعيين على الروبي بك رئيساً لمجلس مديرية الدقهلية وتعيين محمد النادي بك قائداً للكتيبة الثانية لمشاة المستجدين ، ونقل أحمد عرابى بكتيبته إلى الإسكندرية ، ثم صدر قرارا بتعيين عرابى قائداً للكتيبة الرابعة للمستجدين ولكن بنفس رتبته وهى عقيد أى دون ترقية . ثم قام وزير الحربية باستدعاء عرابى وأمره بالذهاب إلى راغب باشا. ولما توجه عرابى إليه قال له راغب باشا : إن أهالي مديرية جرجا وأسيوط انتخبوك نائباً عنهم في تسليم سبعمائة ألف أردب قمح وفول وشعير إلى بنك (منشا وقطاوي وبنك ايجيون وإبراهيم بيجه) بالإسكندرية. وقد فهم عرابى من كلامه أن الخديوى يرغب فى إبعاده عن مركز الكتيبة ، ونفس الشىء حدث مع على الروبى حيث تم إبعاده إلى المنصورة ، وكذلك إبعاد النادي إلى الإسكندرية. وتوجه عرابى إلى الإسكندرية وأنجز المطلوب منه بكل أمانة واستقامة . لم يتوقف عند هذا الحد فقد تأزمت الأمور بين الوزارة المختلطة وضباط الجيش إلى درجة خطيرة . وفى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ قامت ثورة ضباط الجيش ضد وزارة نوبار المختلطة التى سقطت في اليوم التالي ، وتألفت وزارة جديدة برئاسة

توفيق باشا إبن الخديوى إسماعيل . وقد إضطر توفيق على إبقاء الوزيرين الأوربيين . لكن الضغط الآوربى على الخديوى إسماعيل وعلى وزارة إبنه توفيق بلغ منتهاه مما جعل الأمير توفيق يسلك مسلكاً من العنت والإرهاق ضد مجلس الشورى ، وعلى أثر ذلك طلب توفيق من والده إصدار مرسوماً بفض المجلس . لكن المجلس رفض هذا القرار ، ولم يكتف أعضاء المجلس والوطنيون من ضباط الجيش بذلك بل اتفقوا على الاجتماع معاً للتشاور فيما يجب عمله تجاه هذه الأزمة . وهكذا اجتمع العلماء وأصحاب الرأي والأعيان والتجار وكبار الضباط الوطنيين بدار السيد علي البكري نقيب الأشراف ثم في منزل إسماعيل راغب وزير المالية السابق ورئيس مجلس شورى النواب وعقدوا بداره (جمعية وطنية) وكان ذلك في أبريل عام ١٨٧٩ واتفقوا على وضع بيان يتضمن مشروع تسوية مالية يعارضون به مشروع ويلسون وزير المالية الذي جعل مصر في حالة إفلاس ، وقامت الجمعية الوطنية بتأليف وزارة وطنية ، وتعديل نظام مجلس شورى النواب وتخويله السلطة المعترف بها للمجالس النيابية في أوروبا والسماح له بتقرير مبدأ المسئولية الوزارية أمامه . وقد وقع هذا البيان ستون عضوا من أعضاء مجلس شورى النواب . وستون شخصية عامة من العلماء والهيئات الدينية وفي مقدمتهم شيخ الإسلام وبطريرك الأقباط وحاخام الإسرائيليين واثنان وأربعون من الأعيان ، واثنان وسبعون من

الموظفين العاملين والمتقاعدين ، وثلاثة وتسعون من ضباط الجيش .
وقدم وفد من الأحرار (اللائحة الوطنية) كما أسموها إلى الخديو إسماعيل الذي وافق دون تردد على مطالبهم حيث عهد إلى شريف باشا برئاسة الوزارة الجديدة التى قام بتأليفها من المصريين الخالصين وخالية من الوزيرين الأجنبيين ، وقرر الخديوى إسماعيل مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس شورى النواب . وهنا وقفت الدول الأوربية وتحديدا بريطانيا وفرنسا وألمانيا ضد الوزارة الوطنية وسعت بكل جهدها إلى خلع الخديوى إسماعيل الذى تحالف مع الحركة الوطنية ضد التدخل الأوربى.
ولكن المثير هنا أن الآستانة دعمت موقف الدول الأوربية فى مؤامرتهم ضد مصر ، وفي ٢٦ يناير ١٨٧٩ أعلن الباب العالى عزل الخديوى إسماعيل ليتولى توفيق باشا مكانه، ولكنه إستمر الخديوى إسماعيل فى منصبه حتى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٨٧٩ عندما سمعت مدينة الإسكندرية أصوات دوى المدافع إعلاناً بعزل الخديوى إسماعيل وولاية إبنه توفيق باشا عرش البلاد .وفى هذا الخصوص يقول عرابى: " شاهدت خروج الخديوى إسماعيل من مصر منفياً ونزوله من منزل الفحوصات وأدوات السكة الحديدة الذي نزل منه من قبل حليم باشا منفياً (هو العم الأصغر للخديوى إسماعيل).. فقد سافر الخديوى إسماعيل إلى نابولي بإيطاليا مطروداً" . ويضيف عرابى: " وعلى الرغم من أن حليم باشا سافر إلى دار السعادة مطروداً ... لكن

شتان بين من طرد ظلماً ومن طرد عدلاً " . ويقول عرابى فى مذكراته :
" وهكذا انتهت فترة حكم إسماعيل باشا لمصر وهي سبع عشرة سنة كانت وبالاً على المصريين لشدة نزقه وطمعه وسوء تصرفه وعدم إنصافه .... لم أر فيها خيراً ولا ترقيت رتبة في عهده ، وقد تحملت مدة ولاية إسماعيل الجائرة من ظلم وإستبداد بكل صبر وثبات ... ومكثت برتبة القائمقام (عقيد) مدة تسعة عشر سنة أنظر إلى صغار الضباط الذين كانوا تحت إدراتي في عهدي سعيد باشا وإسماعيل باشا وهم يترقون دوني ، فقد ترقى بعضهم إلى رتبة الأميرالاي(عميد) وبعضهم إلى رتبة أمير اللواء(لواء) ، وبعضهم إلى رتبة الفريق . لا بعلم تعلموه من دوني ولا بفهم خارق للعادة ولا بشجاعة أبرزوها في ميادين القتال ، ولكن لكونهم من مماليك أو أبناء مماليك العائلة الخديوية ، فاصطفاهم الخديوى بالرتب والنياشين والجواري الحسان والأراضي الواسعة الخصبة والبيوت الرحبة وحباهم بالأموال الكثيرة والحلي الثمينة من دم المصريين المساكين وعرق جبينهم .. " .

الفصل الثالث

عرابى وعهد الخديوى توفيق

(٣٠ يونيو ١٨٧٩ وحتى ٧يناير ١٨٩٢)

(١)

تشنج سياسى فور تولى
الخديوى توفيق عرش البلاد

عندما تولى الخديو توفيق عرش البلاد في ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ الموافق ٢٦ يونيه سنه ١٨٧٩م كانت مصر تمر بظروف اقتصادية وإجتماعية وسياسية صعبة للغاية . وفور توليه الحكم قدمت وزارة راغب باشا استقالتها، وتشكلت الوزارة الجديدة برئاسة شريف باشا . وأول عمل اهتم به مجلس الوزراء الجديد هو تحديد رواتب الخديوى وأهل بيته . وبعد أن استقرت وزارة شريف باشا، شرعت في توجيه عنايتها إلى تسوية الدين العام ، كما تقدمت إلى الخديوى الجديد بمشروع تأسيس حكومة دستورية عصرية وذلك بناء على وعده للمصريين في ١٤ رجب سنة ١٢٩٦ ، ولكن الخديوى لم ينفذ وعده ، وهو ما دفع حكومة شريف باشا إلى تقديم إستقالتها . والمثير هنا أن الخديوى توفيق قبل الإستقالة فورا ، وشكل وزارة جديدة برئاسته . ثم أصدر الخديوى أمرا تلغرافياً إلى رياض باشا بالعودة من الخارج إلى القطر المصري على أول باخرة ترد إليه . وفي ١٧ رمضان سنة ١٢٩٦ هـ الموافق ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ وصل رياض باشا إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة ، ثم توجه مباشرة لمقابلة الخديوى

وبحث معه العلاقات المصرية الأوربية. وفي يوم الخميس ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٩م الموافق ١٨ رمضان سنة ١٢٩٦هـ أصدر الخديوى أمراً بإعادة تعيين المستر بارنج الإنجليزى والمسيو دي بلنيير الفرنسى بصفتهما مفتشين على الحكومة وهو ما يعنى أن رياض باشا بدأ تنفيذ خطة إعتماد مصر على بريطانيا وفرنسا . وفي ٥ شوال سنة ١٢٩٦ هـ الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ قام رياض باشا بتشكيل وزارة جديدة بعد أن قدم الوزراء إستقالتهم . وعلى الفور بدأ رئيس الوزراء رياض باشا بحملة واسعة النطاق هدفها تضييق الخناق على النشاط السياسى لضباط الجيش، وكذلك جمعية حلوان التى أكتشف نشاطها ، وهنا قررت جمعية حلوان أن تتحالف مع جمعية الضباط السرية وتم تشكيل الحزب الوطني الذى بدأ فى الإعلان عن نفسه . وكانت الإجتماعات تعقد فى البداية بمنزل عرابى . ومع تطور الأحداث وزيادة التدخل الأجنبى فى الشئون الداخلية للبلاد أصدر "الحزب الوطني" فى نهاية عام ١٨٧٩ بيانا إصلاحيا وقام بتوزيع عشرين ألف نسخة منه، وقد إحتوى البيان على برنامج محدد يهدف إلى تخليص مصر من ويلاتها . فى الوقت نفسه أصدر "اتحاد الشبيبة المصرية" مشروعاً إصلاحياً موجهاً إلى الخديوى توفيق ، كما نشرت جماعة "مصر الفتاة" كتيباً خاصاً تطالب فيه بحرية الصحافة . وفيما يتعلق بتلك البيانات التى شكلت خطورة حقيقية على نظام الخديوى توفيق ، حاول رئيس الوزراء

رياض باشا إستنفار أجهزة الأمن الداخليـــة لمعرفـــة مـــن وراء تلـــك البيانات : فشدد الرقابة على كل من إشتبه فيهم . وأمعن فـــي الســـجن والنفي والمصادرة ، دون إدراك حقيقي لمصادر السخط العام الذى أخـــذ فى التزايد يوما بعد يوم حتى داهمته حركة الجيش التي قامت اســـتجابة لمطالب الجماهير وضباط الجيش الذين ضاقوا ذرعا بالمحســـوبية فـــي صفوف الجيش لصالح الأتراك والجراكسة .

وبخصوص ضباط الجيش، نذكر هنا لما إعتلى توفيق باشا عرش البلاد، وسافر إلى الإسكندرية تم ترقية عدد من ضباط الجيش ومنهم عرابـــى الذى رقى إلى رتبة (عميد) وعين ياوراً خديوياً ضمن ياورانه وقائـــدا على كتيبة المشاة الرابعة ومركزها العباسية بمدينة القاهرة . فى ذلـــك الوقت كان عثمان باشا رفقي وزيرا للحربية، وهنا يقول عرابى: " كـــان وزير الحربية رفقى باشا رجلا جاهلا متعصب لجنسه(جركسى الأصـــل)، سولت له نفسه أن يمنع ترقي المصريين العاملين بـــالقوات المســـلحة جميعها... وشرع في سن قانون يقيد الحكم بترقي الضباط المصـــريين وأصدر أوامره بذلك وعممه على كافة وحدات الجـــيش نكايـــة بأبنـــاء الوطن وحرمانهم من الرتب وجعلهم أنفاراً تحت تسلط الأتراك والجركس ليكون لهم الحظ الأوفر والنصيب الأكمل من الترقى إلى الدرجات السامية والرتب الشريفة". وفي ليلة ١٤ صفر سنة ١٢٩٨ هـــ الموافق ١٥ يناير ١٨٨١ دعي أحمد عرابى على وليمة بمنزل نجـــم الـــدين باشـــا

بمناسبة عودته من أداء فريضة الحج ، ولما وصل عرابى إلـــى منزلـــه وجده غاصاً بقادة الجيش وغيرهم من السياسيين ، فجلس عرابى بجوار محمد بك نجيب الجريدلي وكان بجانبه إســـماعيل باشـــا كامـــل (وهـــو جركسي الأصل لكنه يتظاهر بحب العدل والإنصاف) فأفضـــى إســـماعيل باشا إلى نجيب بك بما فعله وزير الحربية رفقى باشا من أخطاء ومنها ما أصدره مؤخرا بإحالة عبد العال بك حلمي أميرالاي(عميـــد) الكتيبـــة السودانية إلى ديوان وزارة الحربية ليكون معاوناً فيه على الرغم من أن عمره لا يتعدى الأربعين عاما وتعيين خورشيد بك نعمان بدلاً منه رغـــم بلوغه الخامسة والستين من العمر وهو ضعيف لا قدرة له على الحركات العسكرية ، وأصدر أمراً آخر برفت أحمد بك عبد الغفار مقـــدم الخيالـــة الذى لم يتعد الأربعين من عمره وعين بدلا منه ضابطاً آخر جركســـياً ، وأضاف إسماعيل باشا قائلا لنجيب بك : لقد نصحت رفقى باشـــا بعـــدم ظلم الضباط المصريين ، ولكنه لم يصغ إلي . وفى أثناء الجلسة وبينمـــا هم جالسون إلتفت محمد بك نجيب إلى أحمد عرابى وهمس فى أذنه بما سمعه من إسماعيل باشا حتى لا يسمعه أحدا من الحاضرين . وقد تبـــين لأحمد عرابى أن كل من خورشيد بك نعمان والضابط الآخر البديل لأحمد بك عبد الغفار من الجراكسة. وفى الحال نظر عرابى إلى إسماعيل باشا وقال له : " أحقا ما قلته ؟ " . فرد عليه إسماعيل باشا : " نعم وقد قمت بتسليم هذه الأوامر بنفسى إلى قلم الكتاب لإتخاذ الإجـــراءات الخاصـــة

بتنفيذها . فرد عرابى : " إن هذه لقمة كبيرة لا يقوى عثمان رفقي على هضمها ". ويقول عرابى فى هذا الصدد : وبينما نحن حالسين فى الحفل وبعد تناولنا الطعام جاءني ضابط مصرى وأخبرني بأن كثيراً من الضباط ينتظرونني بمنزلي . وعلى الفور تركت الحفل وتوجهت إليهم ، فوجدت عددا كبيرا فى إنتظارى ومنهم الأميرالاي(عميد) عبد العال بك حلمي حكمدار اللواء السوداني الموجود في طره ، والبكباشي(رائد) خضر أفندي من اللواء السوداني أيضاً ، وعلى بك فهمي أميرالاي(عميد) لواء الحرس الخديوي بقشلاق عابدين ، والرائد محمد أفندي عبيد من لواء الحرس الخديوى أيضا . والرائد ألفي أفندي يوسف من اللواء الرابع مشاة ، والمقدم أحمد بك عبد الغفار من لواء الخيالة وغيرهم من الضباط . ويضيف عرابى: " كانوا جميعاً في هياج عظيم ، إذ بلغهم صدور أوامر وزير الحربية قبل إرسالها إليهم... فلما رأوني أفضوا إلي بما سمعته من نجيب بك وإسماعيل باشا كامل منذ قليل " . فقلت لهم : " لقد سمعت هذا من غيركم فى الحفل ... فماذا تريدون؟" . قالوا : " ليس الأمر كذلك فقط ... بل أنه قد كثر اجتماع العنصر الجركسي في منزل خسرو باشا الفريق وهم يتحدثون في تاريخ دولة المماليك كل ليلة بحضور عثمان باشا رفقي ويلعنون خيري بك لتسليمه وإذعانه للسلطان سليم ... ويقولون أنه قد حان الوقت لرد بضاعتهم إليهم ... وأنهم لا يغلبون من قلة ... وظنوا أنهم يملكون مصر ويستبدون بها كما فعل

أولئك المماليك من قبلهم " . وأضاف الضباط : " لقد تحققنا من صـدق تلك الأنباء ممن يوثق بخبره " . فرد عليهم عرابى : " وماذا تريدون إذن ؟! " . فقالوا : " إنما جئناك لنرى رأيك " . فقال عرابـى : " رأيـي أن تتريثوا وتهدئوا روعكم وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا إليهم النظـر في مصالحكم ... وهم يتخذون من بينهم رئيسا لهم يثقون به كل الوثوق ويسمعون قوله ويطيعون أمره ويحفظونه بمعاضدتكم إذا أرادت الحكومة به شراً " . فقالوا : " إنا فوضنا إليك هذا الأمر ، فليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك " . فقال : " كلا بل أنظـروا غيـري ، وأنـا معكـم وسأبذل كل جهدي ونصحي". فقالوا : " إنا لا نبغي غيرك ولا نثق إلا بك " . لكن عرابى قال لهم أن الأمر عصيب ولا يسع الحكومة إلا قتل مـن يتصدى له. فقالوا له : " نحن نفديك ونفدي الوطن العزيز بأرواحنا " . فرد عرابى : " إذن .. إقسموا لي على ذلك ". وبالفعل أقسم الجميع على تولى عرابى زمام الأمور . وفي الحال كتبت عريضة إلى رئيس الوزراء رياض باشا تتضمن الشكوى من تعصب رفقي باشا لجنسـه الجركسـى وإجحافه بحقوق الوطنيين المصريين ، وتمثلت بنودها فى الآتى:

أولاً : عزل وزير الحربية رفقى باشا ، وتعيين غيره من أبنـاء الـوطن عملاً بالقوانين التي بأيدينا .

ثانياً : تأليف مجلس نواب من نبهاء الأمة تنفيذاً للأمر الخديوي الصادر عقيب ارتقائه الأريكة الخديوية .

ثالثاً : زيادة عدد الجيش العامل إلى ١٨٣ ألف جنـدى طبقـاً للفرمـان السلطاني .

رابعاً : تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للعدل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الأجناس والمذاهب .

ثم قرأت العريضة المذكورة على مسامع الحاضرين ، فوافق عليها جميع الحاضرين" . ووقع علي العريضة عرابى . كما وقع عليها كل من علي بك فهمي وعبد العال بك حلمي . وبعد ذلك تم أخذ الترتيبات العسكرية لحفظ الخديوى والعائلة الخديوية والوزراء فى حال وقـوع هجـوم أو محاولة إغتيال من قبل الضباط الجراكسة . كما تم أخذ التدابير العسكرية لحفظ البنوك ومحال وبيوت التجار الأجانب والمـواطنين مـن مطـامع الرعاع والبلطجية . وكذلك حفظ القوات العسكرية الوطنية مـن بطـش الحكومة إذا أرادت الإيقاع بقادة الجيش والعساكر، وكذلك رفض كافـة الإجتماعات مع رئيس الحكومة إلا بعد التشاور وأخذ الموافقة . وهنـا يقول عرابى: " كان هدفنا إنشاء مجلس النواب كى يكون لسـان حـال الأمة لدى الحكومة ليرشدها إلى سبل حفظ الأرواح الطاهرة والأعراض الكريمة والأموال العزيزة من العبث بها ".

وفي ١٥ صفر ١٢٩٨ هـ الموافق ١٦ يناير ١٨٨١ ذهب عرابى إلى وزارة الداخلية ومعه رفيقاه على بك فهمي وعبد العـال بـك حلمـي ، وقدموا العريضة المذكورة إلى وكيل الداخلية خليل باشا يكن وطلبوا منه

عرضها على رئيس الوزراء رياض باشا . فذهب خليل باشا يكن إليه ثم عاد بعد دقائق وأخبرهم بأن رئيس الوزراء يريد التحدث معهم . وبالفعل قابل عرابى ورفيقاه رئيس الوزراء الذى طيب خاطرهم وقال لهم : " سأنظر في الأمر" . وإنصرف عرابى ومن معه ، ولكن بعد أسبوع ذهب عرابى ومعه رفيقاه إلى بيت رئيس الوزراء رياض باشا . وحول هذه الزيارة يقول عرابى: " ولما دخلنا عليه سألناه عما تم في أمر عريضتنا فأجابنا بقوله : " إن أمر هذه العريضة مهلك لكم ... وهي أشد خطراً من عريضة أحمد فنى الذي أرسل إلى السودان .(يذكر أن فنى كان كاتبا بديوان المالية طلب المساواة مع غيره من خدم الديوان ، ولكنه عوقب على طلبه وتم إرساله إلى السودان حيث توفى هناك !). فأجابه عرابى : " إننا لم نطلب إلا حقاً وعدلاً ... وليس في طلب الحق من خطر ... وإنا لنعتبرك أباً للمصريين ، فما هذا التلويح والتخويف ؟ " . فرد عليه رياض باشا: " ليس في البلاد من هو أهل لأن يكون عضواً في مجلس النواب " . فقال له عرابى : " إنك مصري وباقي الوزراء مصريون مثلك ومثل الخديوى أيضاً .... أتظن أن مصر ولدتكم ثم عقمت ؟ ... كلا فإن فيها العلماء والحكماء والنبهاء .... وعلى فرض أن ليس فيها من يليق لأن يكون عضواً في مجلس النواب أفلا يمكن إنشاء مجلس يستمد من معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية تخرج لنا بعد خمسة أعوام رجالا يخدمون الوطن بصائب فكرهم ، ويعضدون الحكومة في مشروعاتها

الوطنية ؟". ويضيف عرابى : " وعندما سمع رياض باشا كلامـــي هـذا باتت عليه الدهشة، وكأنما كبر لديه ما سمعه منا ، ثم قال لنا : " سننظر بدقة في طلباتكم هذه " . وعليه إنصرف عرابى ومن معه وهم جميعا في إنتظار رد رئيس الوزراء رياض باشا. وفي غـرة ربيـع أول سـنة ١٢٩٨هـ الموافق ٣١ يناير ١٨٨١ انعقد بعابدين مجلـس برئاسـة الخديوى توفيق وحضره جميع الباشوات العاملون والمتقاعـدون مـن الترك والجركس، وقرروا جميعا في ذلك الإجتماع إيقاف الضباط الثلاثة الذين وقعوا على العريضة عن العمل ، على أن يتم التحقيق معهم أمـام مجلس فوق العادة . لكن رئيس الوزراء رياض باشا أعلن عن تحفظـه على قرارهم وقال لهم: إذا قررتم إيقاف الضباط الثلاثة فلابد من إيقاف وزير الحربية رفقى باشا أيضا، وإلا تفاقم الخطر وإضطرب النظام فـي البلاد . لكن الخديوى لم يوافق على ما قاله رياض باشا وقال وهو ينظر إلى رفقى باشا : " إن ناظر الجهادية يضمن حفظ النظام " . وعلى الفور رد وزير الحربية : أنا مستعد لحفظ النظام يا مـولاى والقـبض علـي الضباط الثلاثة بسهولة . ثم قدم رفقى باشا محضر الجلسة إلـى أحمد خيري باشا رئيس الديوان الخديوى ليقرأه أمام الحاضرين بعد أن وافق عليه الخديوى ، وقد جاء فيه الآتى: " إن الضباط الثلاثة أحمد عرابـي وعلى فهمي وعبد العال حلمي مفسدون ، ولذلك يقتضي إيقـافهم مـن الخدمة ومحاكمتهم على فسادهم ومجازاتهم بالعقاب الصارم في مجلس

عسكري فوق العادة برئاسة وزير الحربية، ويكون من أعضائه إستون باشا رئيس أركان حرب (أمريكي الجنسية) ولارمى باشا ناظر المدارس الحربية (فرنسي الجنسية) وغيرهما من الباشاوات الجـركس " . وبعـد الإنتهاء من قراءة محضر الجلسة وقع عليه الخديوى توفيق وسلمه إلى عثمان باشا رفقي ليقوم بتنفيذه ، ثم إنفض المجلس .

(٢)

حادثة قصر النيل

في مساء يوم ٣١ يناير ١٨٨١ أرسل وزير الحربية رفقى باشا تـذاكر حفل خاص إلى الضباط الثلاثة (أحمد عرابى وعلى فهمى وعبـد العـال حلمى) يدعوهم فيها للحضور إلى ديوان وزارة الحربية بقصر النيل فـي صباح يوم ٢ ربيع أول سنة ١٢٩٨هـ الموافـق أول فبرايـر ١٨٨١ للاحتفال بزفاف جميلة هانم شقيقة الحضرة الخديويـة . وهنـا يقـول عرابى : " لما وصلتنا دعاوى الحفل أدركنا أن رفقى باشا يريد خداعنا كى يبطش بنا كما فعل محمد علي باشا من قبل بأمراء المماليك حينمـا دعاهم إلى وليمة بالقلعة وبطش بهم عن آخرهم كما هو واضح بالتاريخ، خاصة وأن ميعاد الزفاف الملكي لم يكن قد حان بعد ... لذلك كانت تلـك الحيلة سابقة لأوانها . وعليه إتخذنا حذرنا وهيأنـا مـا يلـزم لنجاتنـا بالإتفاق مع إخواننا الضباط ، ثم ذهبنا في الوقت المعين بالدعوة بعد أخذ

كافة الإحتياطات الممكنة فى طريقنا إلى ديوان الحربية بقصر النيل . ولما وصلنا هناك وجدناه غاصاً بجميع الجراكسة من رتبة الملازم فما فوقها إلى رتبة الفريق ... وكانت في أيدي شباتهم الطبنجات وكلهم في فرح ومرح " . ويضيف عرابى: " وبمجرد وصولنا إنعقد المجلس المؤلف من الباشاوات ... وتلى علينا الأمر الخديوي الخاص بإيقافنا عن العمل ومحاكمتنا ... ثم نزعت عنا سيوفنا وساقونا إلى السجن بإحدى قاعات قصر النيل ... وكان مرورنا بين صفين من الضباط الجركس المسلحين بالطبنجات... وما أن وصلنا إلى غرفة السجن حتى مر علينا خسرو باشا كبير الجراكسة ونحن بباب السجن وصار يهزأ بنا ويسخر منا بقوله: (أية زمبللي هرف لر) وهى تعني فلاحين شغالين بالمقاطف وهو تشبيه باحتقار المصرين ". بعد أقل من ساعة من عملية الإعتقال جاءت كتيبتان من لواء الحرس الخديوي ودخل رجالهم ديوان الحربية ، وأسرعت وحدة خاصة من الضباط والعساكر بإخراج عرابى ورفاقه من السجن . ولما رأى وزير الحربية ذلك الهجوم الكاسح فر هاربا ومعه رجال المجلس الذى كان منعقدا منذ قليل وذهبوا جميعا إلى سراي عابدين . وبمجرد الإفرج عن عرابى قال لضباطه وجنوده : "أرجوكم ألا تمدوا أيديكم بسوء إلى أحد من الجراكسة ولا إلى غيرهم من الضباط لأنهم إخواننا ... فإننا لا نريد إلا الإنصاف والمساواة . ونظر عرابى حوله فوجد بجانبه إسماعيل باشا كامل فعانقه أمام

العساكر . ثم قال للضباط والعساكر وهو يشير إلى إسماعيل باشـا : "أن هذا الباشا جركسي ، ولكنه أخي وحرام علينا دمـه ومالـه وعرضـه ، وكذلك غيره من الجراكسة" . وهنا فقط انصرف جميع الضباط والعساكر إلى مراكزهم طائعين .

ولكن كيف حدث ذلك التدخل السريع للجيش؟ : تشير الوثائق إلـى أنـه بعد أن تم سجن عرابى ورفاقه بإحدى قاعات قصر النيل ، أصدر وزيـر الحربية رفقى باشا قرارا بتعيين ثلاثة من كبار الضباط بدلاً من الضباط الذين تم إقالتهم . والضباط الثلاثة الجدد هم: العميد محمود بـك طـاهر للواء الرابع بدلاً عرابى ، والعميد خورشيد بك نعمان قائدا لـ اللـواء السوداني بدلاً من عبد العال بك حلمي ، ثم الفريق راشد باشـا حسـني لتسلم لواء الحرس الخديوي بدلاً من علي بك فهمي . وعندما علم ضباط لواء الحرس الخديوي بما لحق بعرابى ورفاقه مـن الإهانـة والسـجن ورفتهم من الخدمة وتعيين بدلاء لهم حدث تظـاهرات داخـل الجـيش وثارت الحمية في رؤوس الضباط وضباط الصف . وفي الحال أمر الرائد محمد أفندي عبيد بضرب نوبة طابور للعساكر فإعترضه خورشـيد بـك وهدده بقطع رأسه . فلم يلتفت إليه محمد أفندى وأمر عساكره بوضـع خورشيد بك قيد السجن والتحفظ عليه ، فى الوقت نفسه اصطف الجنود تحت السلاح وتحرك بهم محمد أفندى عبيد إلى قصر النيـل لتحريـر عرابى ورفاقه من السجن ، فإعترضه الفريق راشد باشا حسني ولكنـه

إضطر إلى التنحى بعيدا عنه عندما رأى الشرر يتطاير من جنوده ... في تلك الأثناء كان الخديوى يشرف على العساكر من شرفة (السلاملك) .
وعندما رأى ما حدث أصدر أوامره إلى بروجي السراي بأن يضرب نوبة حضور الضباط أمام الخديوى فى الحال . وعلى الرغم من ضرب البروجى إلا أن أحدا لم يذهب إليه ... وهنا وقفت الكتيبة الأولى بقيادة الرائد أحمد أفندي فرج في ساحة عابدين ومعها بيرق اللواء . وكان وقوفها علي هيئة طابور بغرض حفظ حياة الخديوى مما قد يطرأ من أمور سيئة . واستمرت الكتيبتان الأخرتان في سيرهما إلى أن وصلتا إلى قصر النيل ، وهنا أصدر الرائد محمد عبيد أمره إلى قائد الكتيبة الثالثة بقيادة الرائد على أفندي عيسى بأن يذهب بكتيبته إلى الجهة الخلفية من قصر النيل. وبالفعل ذهب محمد عبيد بكتيبته إلى الجهة الأمامية وأعطى أوامره لإحدى وحداته الخاصة بإقتحام ديوان الحربية الذي كانت أبوابه ونوافذه موصدة . وبالفعل تم إقتحام المكان والبحث عن عرابى ورفاقه حتى تم التوصل إليهم وتحريرهم من السجن ... وما أن حدث ذلك حتى وقع الرعب في قلوب قادة الجيش الموجودين بديوان الحربية من الأوربيين والجركس وهرب الجميع ومعهم عثمان باشا رفقي وزير الحربية إلى سراي عابدين ليحتموا بالخديوى . وهكذا إستطاع الضابط محمد أفندي عبيد ا إنقاذ عرابى ورفاقه وكان معه الرائد على أفندي عيسى والرائد أحمد أفندي فرج وجميع ضباط لواء

الحرس الخديوي وعساكره الذين قاموا بما تم تكليفهم به علـى أحسـن وجه. ويذكر أن الرائد خضر أفندي خضر قام بعمل عظيم ، فعندما علم بسجن عرابى ورفاقه قام بالتحفظ على كل من خورشـيد باشـا طـاهر والعميد الجديد خورشيد بك نعمان وأحمد بك حمدي الياور الخديوي حيث أحضر وحدة خاصة بالحراسة وجعلهم رقباء عليهم وعدم السماح لهـم بالتحرك من مكانهم مطلقاً . ثم أمر بعد ذلك بضرب نوبة طـابور إلـى الميدان ، ولما تم انتظامه أخبر الضباط والصف ضباط والعسـاكر بمـا حدث لأحمد عرابى ورفاقه ، وهموا جميعا لإنقاذهم من السـجن قبـل فوات الوقت . وأسرع بهم الرائد خضر وهو يتقدمهم من مدينة طـره قاصدين ديوان الحربية بقصر النيل . أما الذين حنثوا بعهدهم لعرابـى ورفاقه فهم الرائد ألفى أفندى يوسف الذى أبلغ خيرى باشا رئيس ديوان الخديوى بكل شى دار مع عرابى ورفاقه ، كما أخبر أيضا علـى باشـا مبارك بما تم الإتفاق عليه بين عرابى ورفاقه.

على الجانب الآخر: بعد وصول رفقى باشا وزير الحربية ومن معه إلى قصر عابدين وإبلاغ الخديوى بما حدث ، تدخل استون باشـا الأمريكـي الجنسية وقال للخديوى : " إن ما حصل من لواء الحرس يعتبـر تمـرداً عسكرياً ، ومن الواجب حصره بالمدفعية والمشاة ، لذلك لابد من إصدار أمر بضرورة تسليم عرابى ورفاقه فورا ... وإذا رفض عرابى ورفاقـه تسليم أنفسهم فيجب إطلاق نيران المدافع والبنادق عليهم حتى يضطروا

إلى التسليم " . المثير أن الجميع إستحسن رأى الضابط الأمريكى إلا إسماعيل باشا كامل الجركسى الذى عارضه قائلا : " أعتقد أن جميع وحدات المشاة والمدفعية والخيالة على رأي واحد ، وبالتالى فلن يجدي هذا الكلام معهم نفعاً " . فرد الجنرال استون : " إذا كان الأمر كذلك فاللواء السوداني يكفي لإكراه لواء الحرس على التسليم " . " فعارضه إسماعيل باشا كامل ثانية بقوله : " إن لواء السودان أشد تحمساً فى الدفاع عن عرابى ورفاقه من باقي الألوية " . فلما سمع الخديوى معارضة إسماعيل باشا غضب غضباً شديداً منه، وأمر خورشيد باشا طاهر بأن يطلب تلغرافياً بإحضار اللواء السوداني من طره فى أسرع وقت ممكن . فجاءه الرد من ناظر محطة طره بأن الرائد خضر أفندي خضر قام بسجن كلاً من خورشيد باشا طاهر والعميد خورشيد بك نعمان وأحمد بك حمدي الياور الخديوي والمقدم فرج الدكر . كما أبلغهم ناظر المحطة بأن الرائد خضر أفندى قام بصرف الذخيرة اللازمة للعساكر وإنطلق بهم منذ ساعة بالخطوة السريعة بطريق البحر قاصداً قصر النيل لإخراج الضباط الثلاثة من سجن قصر النيل . وهنا تحقق الخديوى من صدق كلام إسماعيل باشا كامل . فى الوقت نفسه عمت الدهشة على وجوه الحاضرين ، ومع ذلك أمر الخديوى توفيق بإرسال أحد الياوران لمقابلة الرائد خضر أفندي خضر فى الطريق وإخباره بأن الضباط الثلاثة خرجوا من السجن ويجب عليه العودة فورا ومن معه من الجنود إلى

ثكناتهم وإخلاء سبيل الضباط الذين سجنوا بطره فورا . ولما تقابل رسول الخديوى مع الرائد خضر أفندى فى الطريق وأخبره بما يريده الخديوى منه ، قال له الرائد خضر : " لن أعود إلا بعد أن أرى عرابى ورفاقه بعين رأسي خارج سجن قصر النيل " . لكن رسول الخديوى أنذره بتوقيع أقصى عقوبة عليه لعدم إطاعة أوامر الخديوى، إلا أن الرائد خضر لم يصغ إليه واستمر في سيره حتى وصل إلى ساحة عابدين حيث استقبله لواء الحرس بالتحية العسكرية والترحاب.

وبالعودة إلى عرابى ، فيذكر أنه بمجرد خروجه من السجن أمر الملازم يوسف أفندي فهمي بالذهاب مع عساكر لواء الحرس الخديوي إلى قشلاق عابدين ، فى الوقت نفسه توجه عرابى إلى مركز لواء الحرس الخديوى وجمع الضباط والصف ضباط وألقي عليهم كلمة أوصاهم فيها بملازمة الهدوء والسكينة وقال لهم : " إننا لا نطلب إلا العدل والمساواة مع أخواتنا الجراكسة والأتراك ، وأن لا يكون المصري محتقراً في نظر الأجناس الأخرى ... ونريد كذلك مجلساً نيابياً لحفظ حقوق آبائنا وأخواتنا وأبنائنا من ظلم المستبدين الظالمين ... وأن تنقح القوانين العسكرية حتى تكون كافلة للمساواة في الترقيات والمكافآت وزيادة المرتبات والماهيات التي مضى عليها ثمانون عاماً وخاصة مرتبات ضباط الصف الذين فيهم من له زوجة وأولاد ووالدة يتضورون جوعاً لسوء حظ عائلهم " . ثم كتب عرابى إلى وكيل دولة فرنسا السياسي

البارون (دورنج) راجياً منه أن يخبر عنه جميع وكلاء الدول المتحابة مع مصر وخصوصاً قنصل جنرال دولة انجلترا بأنه قد حصدث خلاف بين المصريين وحكومتهم ، وأن المصريين يأملون منهم التوسط في إصلاح ذات البين . وأمضي عرابى ورفاقه وزملائهم من الضباط والجنود ليلتهم في القشلاق وكانوا جميعا على أعلى درجات الحيطة والحذر . أما قناصل الدول الأوربية فقد ذهبوا إلى عابدين وأشاروا على الخديوى توفيق بإجابة طلبات عرابى ورفاقه حسماً للنزاع ومنعاً للخطر . وفي صباح ٣ ربيع الأول سنة ١٢٩٨هـ الموافق ٢ فبراير ١٨٨١م ذهب جميع الباشوات إلى الخديوى وتشاوروا في أمر تلك الأزمة ، فقال لهم وزير الأوقاف محمود باشا سامي الشهير (بالبارودي) : " أني أرى العساكر على الطاعة بدليل هتافهم باسم الخديوى ، وأن الموسيقى العسكرية لا زالت تعزف بالسلام الخديوى ، فلو أجيبت مطالبهم فسوف تنتهي هذه الأزمة بسلام" . وبناء على ذلك وافق الخديوى على تعيين محمود سامي باشا وخيري باشا رئيس الديوان الخديوي لإجراء المفاوضات مع عرابى فيما يخص مطالبهم الإصلاحية . وبالفعل ذهب كل من البارودى وخيرى باشا إلى الضباط وسألا عرابى ورفاقه عما يريدوه . فقال لهما عرابى: إننا على الطاعة ... ولا نريد إلا الإصلاح . فسألهم خيري باشا : " وما هو الإصلاح ؟ " فسلمه عرابى ورقة وهو يقول له : " هو ما أوضحناه

بعريضتنا هذه وهى رغبتنا فى البدء أولا بعزل وزير الحربية عثمان رفقي باشا ثم بعد ذلك تنفيذ باقي الطلبات " . واخذ خيرى باشا والبارودي عريضة المطالب وذهبا ليخبرا الخديوى، ثم عادا ثانية وقالا لعرابى ورفاقه بأن الخديوى قبل طلباتكم ، وقبل أيضا عزل وزير الحربية ، وعليكم الآن أن تختاروا وزيرا غيره . فقال عرابى بعد أن تشاور مع رفاقه من قادة الضباط: " لا خيرة لنا ... وإنما نريد وزيرا وطنياً يعينه الخديوى " . فرد خيري باشا : " إن الخديو فوض إليكم اختيار الوزير حتى لا تشكوا فيما بعد " . وبعد مشاورات سريعة بين عرابى ورفاقه قال عرابى: " إنا نرضى بتعيين محمود سامي باشا وزيرا للحربية " . فذهب خيرى باشا وأبلغ الخديوى بإختيارهم . وبناء عليه صدرت الأوامر بتعيين محمود سامي باشا البارودي وزيرا للحربية مع بقاء وزارة الأوقاف في عهدته أيضا كما كانت . وعلى الفور تم عودة الضباط الثلاثة (عرابى ورفاقه) إلى عملهم شريطة الإلتزام بنبذ الفوارق العصبية والتمسك بعروة الإخاء والمساواة . وبعد ذلك تم سن القوانين العسكرية وتعديلها وتنقيحها . وعلى الرغم من إستقرار الأوضاع داخل الجيش إلا ان الدسائس ظلت قائمة فى محاولة للوقيعة بعرابى وزملائه ، وقد نجح الجيش فى كشفها والإعلان عنها. وعندما علم محمود باشا سامى البارودى بتلك الدسائس قرر التصدي لها علنا وهو ما أغضب المحيطين بالخديوى توفيق الذى قرر عزله واستبدل به صهره داود باشا يكن ، كما

عزل أيضا مأمور ضبطية المحروسة أحمد باشا الدرمللي الذى وافق على مطالب الجيش الوطنية وعين بدلا منه عبد القادر باشا حلمي . ولما استقر داود باشا في وزارة الحربية توجه عرابى وعدد من كبار الضباط المصريين إليه لتهنئته بالمنصب الجديد وطلبوا منه حث الخديوى للتصديق على بقية قوانين الإصلاحات العسكرية التي إتفق عليها ، ووعدهم داود باشا خيرا . ولكن ما حدث بعد ذلك كان مخيبا لأمال الضباط ، فقد أصدر داود باشا منشورا تم توزيعه على قادة الجيش وضباطه أمر فيه بألا يجتمع الضباط مع بعضهم في المنازل أو في أحياء المدينة ، وألا يتركوا مراكز ثكناتهم العسكرية ليلاً أو نهاراً ، وشدد على أنه إذا إجتمع اثنان منهم فأكثر في المدينة فسيتم ضبطهم بمعرفة رجال الضبطية وسجنهم فورا . وأخذ وزير الحربية داود باشا يمر بنفسه ليلاً على مراكز الوحدات العسكرية ليرى هل تنفذ أوامره أم لا؟ . أما مأمور الضبطية عبد القادر باشا حلمي فقد أرخى العنان لجواسيسه حول منازل كبار وصغار الضباط وفي الطرقات فى محاولات للقبض عليهم وسجنهم. ولما كانت أوامر وزير الحربية مخالفة للقوانين العسكرية ومهينة للشرف العسكري فقد قرر عرابى ورفاقه من الضباط وضع حد لتلك الدسائس التي يقوم بها الوزير ومأمور الضبطية القضائية عبد القادر حلمى. وقام عرابى وعدد من كبار الضباط بالذهاب إلى راغب باشا فى محاولة لإنهاء تلك الإجراءات التعسفية ضد حرية

تحرك الضباط . ولكن الوزير أكد لهم أن الخديوى هو ما أمــره بــذلك ، فسأله عرابى ورفاقه عن إيجاد مخرج لذلك . فقــال لهــم أن المخــرج الوحيد هو قيامهم بجمع العساكر وتسليحهم ثم إرسال مجموعة إنتحارية منهم لقتل الخديوى ، وأظهر لهــم حماســه وإســتعداده لقيــادة ذلــك الإنقلاب . وهنا يقول عرابى: " ولما قال لنا ذلك .. نظرنا إلــى بعضــنا البعض .. ثم نظرنا إليه ... وفهمنا ما يرمى إليه ألا وهو الوقيعة بنا ... واستعذنا بالله من شر رأيه ، لأننا لم نرِد إلا الإصلاح بالتي هي أحسن ، خاصة وأن ذلك العمل الفظيع كان ضد مبادئنا على خط مستقيم" . وفى الحال قرر عرابى ورفاقه تشديد المراقبة حول ثكناتهم وكل ما يحيط بهم من أجل إحباط تلك الدسائس . فى الوقت نفسه لاحظ عرابى ورفاقه كثرة تردد السير مالت (قنصل انجلترا بمصر) على مقر الخديوى ليلاً ونهاراً دون غيره من وكلاء الدول الأوربيــة وتبينــوا أنــه كــان وراء تلــك المؤامرات ، وهنا قرر عرابى ورفاقه عرض تفاصيل مخــاوفهم علــى جلالة أمير المؤمنين بالباب العالى بالآستانة ليحاط علماً بما يجري فــي مصر حتى لا يتورط فيما قد يصل إليه من دسائس أعداء البلاد . وعلى الفور ذيل عرابى ورفاقه العريضة المذكورة بإمضائه وإمضاءات إخوانه علي بك فهمي وعبد العال بك حلمي وأحمد عبد الغفــار بالنيابــة عــن الجيش ، وكذلك أحمد بك أبو مصطفى وأحمد بك الصباحي وعثمان باشا فوزي وغيرهم من وجهاء الأمة بالنيابة عن جميع المصريين .

بعد أيام قليلة من حادثة قصر النيل ومرورها بسلام ، طلب الخديوى توفيق كل من أحمد عرابى ورفاقه قبل سفره إلى مصيفه بالإسكندرية . وتحدث معهم حول ضرورة الحفاظ على الأمن العام داخل البلاد ، كما أمرهم بالذهاب إلى جميع قناصل الدول لطمأنتهم على رعاياهم وإعطائهم كلمة الشرف بحفظ أرواحهم وأموالهم . وقد فعل عرابى ورفاقه ذلك ، ثم بعثوا بذلك التعهد الرسمى الخاص بحفظ أمن البلاد إلى جميع كتائب المشاة والخيالة والمدفعية وفروع الحربية والبحرية وطلبوا منهم أن يخلدوا إلى الهدوء والسكينة .

الخديوى توفيق يتراجع عن تعهداته: بعد عودة الخديوى إلى القاهرة من مصيفه بالإسكندرية أمر وزير الحربية الجديد داود باشا يكن بأن يصدر أمرا إلى اللواء الثالث مشاة بقيادة إبراهيم بك حيدر بالتوجه إلى الإسكندرية ، على أن يحل محله لواء الإسكندرية بقيادة حسين بك مظهر فى القاهرة . وهنا تكهرب الوضع داخل قيادة قوات الجيش بالقاهرة، وأخذت الشكوك تدور برؤوس كبار الضباط ، وسرت شائعة تقول بأن الحكومة تسعى للتخلص من قادة الجيش وذلك بإغراقهم في كوبري كفر الزيات كما حدث مع الأمير حليم باشا والأمير أحمد إبن إبراهيم باشا في عهد الخديوى سعيد باشا . وعندما إجتمع إبراهيم بك حيدر مع ضباطه وأخبرهم بالأمر الذى أصدره وزير الحربية رفض جميع ضباطه تنفيذ الأمر . وعليه كتب إبراهيم حيدر إلى وزارة الحربية ليحيطها علماً

برفض تحرك قواته إلى الإسكندرية. وتعاطف مع ذلك الإجـراء الـذى إتخذه ضباط اللواء الثالث مشاة جميع وحدات الجيش بالقاهرة . ويرجع سبب ذلك العصيان بالجيش إلى تراجع الحكومة والخديوى عـن تنفيـذ وثيقة الإصلاح السياسى المتعلقة بإنشاء مجلس نواب عصـرى وعـدم تصديق الخديوى على وثيقة الإصلاح السياسى وعلى رأسـها إصـلاح القوانين العسكرية التى وافق عليها الخديوى عقب أحداث قصر النيل فى فبراير ١٨٨١.

(٣)

واقعة قصر عابدين

والآثار التى ترتبت عليها

بناء علي أمر وزير الحربية الخاص بإستبدال بعض وحدات الجيش بين القاهرة والإسكندرية تم عقد إجتماع عاجل لكبار ضباط الجـيش وكبـار الساسة بالحزب الوطني بمنزل عرابى وتم الإتفاق على القيام بمظـاهرة وطنية ثانية تضم هذه المرة الجيش والشعب معا . وعليه قـام عرابـى بتكليف بعض الضباط بسرعة الإتصال بجميع الوحدات العسـكرية مـن مشاة وخيالة ومدفعية الموجودين بالقاهرة مستخدمين فى ذلـك سـلاح الإشارة وإعلامهم بالحضور جميعا إلى ميدان عابـدين فـى السـاعة

العاشرة من صباح يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ لعــرض مطالــب الجــيش والشعب العادلة على الحضرة الخديوية . فى الوقت نفسه قــام عرابــى ورفاقه من كبار القادة بإبلاغ وزير الحربية كتابيا لتخبر الخديوى توفيق بأن جميع وحدات الجيش ستحضر إلى ساحة عابدين في الســاعة فــى الساعة العاشرة من صباح يوم ٩ ســبتمبر ١٨٨١ لعــرض مطالــب الشعب أمام الجميع . كما كتب أيضا إلى قناصل الدول مؤكداً لهم أنــه لا خوف مطلقا من تلك المظاهرة على رعاياهم لأنها تتعلق فقط بــأحوال البلاد الداخلية . فى الوقت نفسه قام عرابى بالتنسيق مع أعضاء الحزب الوطنى وقادة الحركات الوطنية الأخرى داخل البلاد بتوحيــد مطــالبهم وعلى رأسها البند المتعلق بمجلــس شــورى النــواب فــى صــورته العصرية . وفى هذا الصدد يقول عرابى: " ولما وصل كتابي إلى وزير الحربية داود باشا يكن أسرع الأخير بعرضــه علــى الخــديوى الــذي استدعى رياض باشا رئيس النظار(الوزراء) في الحــال وبحــث معــه الأمر ... ثم أرسل رياض إلينا طه باشا لطفي كى نعيد النظر فى القيام بالمظاهرة " . فى نفس الوقت ذهب الخديوى ومعه رياض باشا وخيري باشا رئيس ديوانه إلى رئاسة لواء الحرس بقشــلاق عابــدين وجمــع الضباط والعساكر وخطب الخديوى فيهم قائلا: " أنــتم أولادي وحرســي الخصوصي فلا تتبعوا التعصب الذميم ولا تقتدوا بأعمال ضباط الجــيش الآخرين " . فأجابوه بالسمع والطاعة . ثم توجه الخديوى إلى علي بــك

فهمي قائد لواء الحرس وأمره بأن يقوم بإعادة نشر عساكره على نوافذ السراي وأبوابها من الداخل ليتخذوها متاريس لهم عند الضرورة . وقام على فهمى بتنفيذ ذلك فى الحال . أما طه باشا فقد ذهب كما طلب منه لمقابلة عرابى ورفاقه وسألهم : ماذا تريدون ؟ . فأجابه عرابى : " نريد عرض مطالبنا العادلة على الخديوى .. وهى مطالب لابد منها لضمان حرية الأمة وإستقلالها " . فرد الرجل عليهم : " سوف أخبر مولانا بذلك" . وفى تلك السويعات توجه الخديوى توفيق إلى القلعة ومعه رياض باشا وخيري باشا وذلك فى محاولة لمنع اللواء الثالث من الذهاب إلى ساحة عابدين . وعند وصول الخديوى إلى القلعة وجد اللواء الثالث فى حالة إستعداد قصوى وحاملا سلاحه فى إنتظار أمر قائده بالتحرك. وهنا طلب الخديوى بمثول جميع ضباط اللواء أمامه ، وعندما إمتثلوا قام بتوبيخهم ، ثم إقترب من الرائد فوده أفندي حسن وأمسك به من سترته العسكرية بطريقة غير لائقة وقال له : " أمثالك يعارض أوامرى ويسعى إلى وقف إجراءاتها ؟ " . وهنا هاج العساكر عندما رأوا الخديوى يوبخ قائدهم ويمسكه من سترة ملابسه العسكرية بطريقة مهينة . وعلى الفور أمر النقيب محمد أفندي السيد البروجية بضرب نوبة " سونكي ديك" إستعدادا للقتال بالسلاح الأبيض ، فأسرع العساكر إلى تركيب السونكى في رؤوس بنادقهم وأحاطوا بالخديوى من كل جانب ومن كان معه صارخين بقوة : أترك الرائد فوده . فتركه

الخديوى فى الحال وقال لـ فوده : " مر عساكرك بأن يبتعدوا عنا يا بكباشي " . فأمر الرائد فوده العساكر بالرجوع إلى حالتهم الأولى . وإنصرف الخديوى ومن معه سالكين طريق الجبل قاصدين العباسية ليمنعوا عرابى ورفاقه من القيام بما عزموا عليه . ولما وصل الخديوى إلى مركز قيادة اللواء الذى يرأسه عرابى وبحث عنه فلم يجده ، لكن النقيب النوباتجى أبلغه بأن عرابى توجه بعدد من كتائب اللواء ومعه كتيبة المدفعية بقيادة إسماعيل بك صبري بمدافعها المجهزة بالذخيرة إلى ساحة قصر عابدين منذ ساعة . فقفل الخديوى راجعاً إلى السراي . فى نفس التوقيت كان عبد العال بك حلمي قائد اللواء السوداني فى طريقه إلى سراى عابدين ، ولما وصل إلى ساحة المنشية أمر العساكر بالاستراحة وتنظيف ملابسهم من الأتربة ، وهناك بلغه خبر ذهاب الخديوى إلى القلعة فأخذ عبد العال حلمى وحدتين من قواته الخاصة وذهب بهما إلى القلعة ليستكشف الأمر الذي أوجب حضور الخديوى . وعندما وصل عبد العال بك حلمى إلى مركز اللواء الثالث ليستعلم عن سبب مجيء الخديوى . وهناك تم أحاطةً بكل ما حدث ، وعليه نزل على الفور من القلعة وخلفه وحدات اللواء الثالث يقودها الرائد فوده حسن لأن العميد إبراهيم بك حيدر قد ترك اللواء الثالث وذهب إلى بيته حتى لا يشترك في تلك المظاهرة هلعاً وجبناً ونذالة على حد قول عرابى .

وفى ساحة قصر عابدين كان المشهد كالتالى: كان أول من حضر إلـــى ميدان عابدين لواء السواري بقيادة أحمد بك عبد الغفـــار ، ثـــم حضــر عرابى متقدما لواء العباسية ومعه كتيبة المدفعية بقيادة إسماعيل بــك صبري ، وكانت بطاريات المدافع تتخلل كتائب المشاة أثناء المسير، (كل ذلك حدث في يوم الجمعة ١٥ شوال ســنة ١٢٩٨هـــ والموافــق ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١م) . فى الوقت نفسه تم توزيــع لــواء الحــرس الخديوي بكافة أسلحته وذخائره بقيادة علي بك فهمي إلى داخل السراي وكان على أهبة الإستعداد للدفاع عنها إذا إقتضى الأمــر ذلــك . لكــن عرابى طلب من على بك فهمى إعادة إنتشار لوائه في الميدان بدلا مــن داخل السراى ، فأمر على فهمى لوائه بأخذ المحــل المعــين لــه فــي الدائرة . ثم صار ترتيب ألوية المدفعية والخيالة والمشاة علــى شــكل مربع . وحضر بعد ذلك اللواء الثاني من قصر النيل يقوده العقيد أحمــد أفندي صادق ومعه أحمد أفندي عبد السلام وذلك بعــد امتنــاع العميــد محمد بك شوقي وبعض ضباط اللواء عن مــرافقتهم . وجــاء اللــواء الثالث من القلعة بقيادة فوده أفندي حسن ، ثم اللواء السوداني بقيــادة عبد العال بك حلمي ، وتبعهم كتائب الشئون الإدارية والحملة والإشــارة يقودها المقدم إبراهيم بك فوزي .

عرابى والخديوى : إكتمل تشكيل القوات المسلحة المطلوب تواجدها في عابدين وأصبح الميدان غاصاً بجماهير الشعب من الوطنيين والأجانــب

وكانت نوافذ البيوت المجاورة للسراي وأسطح المنازل مزدحمة بالناس من كافة الأعمار. ولما عاد الخديوى من العباسية دخل السراي من الباب الشرقي المسمى (بباب باريز) وصعد إلى الإيوان ثم نزل منه ومشى في الميدان وحواليه المستر كوكسن (قنصل انجلترا بالإسكندرية) والجنرال جولد سميث (مراقب الدائرة السنيه) ونفر من رجال الأمن ، ولما بلغ الخديوى وسط الساحة أشار بيده إلى عرابى كى يحضر إليه . وتوجه إليه عرابى ليعرض مطالب الأمة وكان راكباً جواده وسيفه في يده ومن خلفه نحو ثلاثين ضابطاً من كبار قادة الجيش. فلما إقترب منه عرابى صاح به الخديوى أن يترجل وأن يغمد سيفه .. ففعل عرابى ، وأخذ يقترب منه أكثر فأكثر حتى أصبحت المسافة بينهما لا تتعدى المترين ثم وقف ، وفي تلك اللحظة أشار المستر كوكسن على الخديوى بأن يطلق رصاص مسدسه الشخصى على أحمد عرابى ليقتله . وعندما سمع عرابى ذلك إلتفت سريعا نحو كوكسن وقال بصوت جهورى تملئه الثقة وهو يشير بيده إلى الجماهير الغفيرة من حوله: " أفلا تنظر إلى من حولنا من العساكر" . وقبل أن ينتهى عرابى من عبارته صاح الخديوى فيمن هم خلف عرابى من الضباط قائلا : "إغمدوا سيوفكم وعودوا إلى ثكناتكم" ... لكن الضباط لم يفعلوا وظلوا متحفزين خلف عرابى ودم الوطنية يغلي في مراجل قلوبهم والغضب ملء جوارحهم . وهنا يقول عرابى: " ولما وقفت أمام الخديوى مباشرة

مؤديا التحية العسكرية خاطبني الخديوى بقولــه : مـــا هـــي أسـباب حضورك بالجيش إلى هنا ؟ .. فأجبته : جئنا يا مولاي لنعرض عليـك مطالب الجيش والأمة ، وكلها طلبات عادلة" .. فسألنى الخديوى ثانيـــة بغضب : وما هي هذه الطلبات؟ ... فقلت له : هـــي إسـقاط الـوزارة المستبدة ، وتأليف مجلس نواب على النسق الأوربي ، وزيـادة عـدد الجيش طبقا لما هو موثق في الفرمانات السلطانية ، والتصـديق علـى قوانين الإصلاح العسكري التي أمرتم بوضعها . فرد الخديوى بغضـب وغيظ شديدين : كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا " . وهنـا إنفعـل عرابى ورد عليه والدم يغلى فى عروقه قائلا بصوت جهـورى يملئـه الغضب : " لقد خلقنا الله أحراراً ... ولم يخلقنا تراثاً أوعقـاراً ، فـوالله الذي لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث ، ولا نسـتعبد بعـد اليـوم ! " .
أثناء ذلك الحوار النارى أشار المستر كوكسن على الخـديوى توفيـق بالرجوع إلى السراى خشية إصابته بسوء إذا تطور الحديث مع عرابى ولكن الخديوى لم يفعل . وبعد إنتهاء الحديث عاد الخديوى ومن معـه إلى داخل السراي بينما بقى عرابى وكل من معه بالساحة علـى أهبـة الإستعداد لأية إحتمالات . ثم بعد فترة وجيزة عاد المستر كوكسن ومعه المستر كلفن المراقب المالي الإنجليزي ، وتحدث كوكسن مـع عرابـى بالنيابة عن الخديوى كرسول من طرفه وقال له : " إن طلـب إسـقاط

الوزارة وطلب تأليف مجلس النواب من حق الأمة وليس من حقوق الجيش ، ولا لزوم لطلب زيادة الجيش لأن المالية لا تسمح بذلك" . فرد عليه عرابى : " أعلم يا حضرة القنصل أن هذه المطالب ، هى مطالب الشعب كله ، وأنا هنا الآن نائباً عنهم في تنفيذها بوساطة هؤلاء العساكر الذين هم إخوانهم وأولادهم ... وهذا الجيش هو القوة التي ينفذ بها كل ما يعود على الوطن بالخير والمنفعة " . ثم رفع عرابى يده وأشار بها إلى جماهير الشعب المحتشدة حول السراى وعلى الأرض وفى شرفات المنازل وفوق أسطحها وعلى أسوار القصر وهو يقول لـ كوكسن : " انظر إلى هؤلاء المحتشدين خلف العساكر وفى كل مكان حولنا.. إنهم الشعب .. إنهم أهالينا الذين أنابونا عنهم في طلب حقوقهم ... وعليك أن تعلم علم اليقين أننا لن نتنازل عن مطالبنا ولن نبرح هذا المكان ما لم تنفذ هذه المطالب " . فرد عليه القنصل وهو ينظر حواليه وإلى الجموع الغفيرة بقلق متزايد : " أهذا يعنى أنك ترغب في تنفيذ اقتراحاتك بالقوة ؟ .. وإذا كان ذلك هو ما تصبوا إليه .. فاعلم أن هذا أمر سوف ينشأ عنه ضياع بلادكم وتلاشيها " . فرد عليه عرابى وهو يبتسم من كلماته الماكرة : " كيف يكون ذلك ؟ ، ومن ذا الذي يعارضنا في أحوال داخليتنا ... فاعلم أننا سنقاوم من يتصدى لمعارضتنا أشد المقاومة إلى أن نفنى عن آخرنا " . فرد القنصل وهو يبتسم ببعض الخوف : " وأين هي قوتكم التي ستدافع بها ؟ " . فصرخ

عرابى فى وجهه : " عند الاقتضاء سوف نحشد مليونا مــن العســاكر يدافعون بإستماتة عن بلادهم... إنهم يسمعون قولي ويلبون إشارتي إذا تطلب الأمر ذلك " . فرد القنصل : " وماذا ستفعل إذا لم تتم الإســتجابة إلى ما تطلب ؟ " . قال عرابى وهو ينظر إلى مــن حولــه مــن قــادة الجيش : " أقول كلمة أخرى " . فقال كوكسن مستفسرا : " وما هي ؟" . إبتسم عرابى وهو يتقدم نحوه حتى أصبح قريبا جدا من وجهه وصــرخ قائلا: " لا أقولها إلا عند اليأس والقنوط ". فتراجع كوكسن إلى الخلــف مرتجفا وقفل راجعا ومعه رفيقه إلى داخل السراى. وبعد مرور ســاعة من الزمن وافق الخديوى على مطالب الجيش ، ولكنه إقترح تعيين حيدر يكن رئيساً للوزارة الجديدة . لكن عرابى ورفاقه رفضوا ذلك لأنه مــن المقربين من الخديوى والإنجليز، وهنا إقترح عرابــى تعيــين محمــد شريف باشا . ووافق الخديوى وتم إستدعاء شريف باشا من الإسكندرية بالتلغراف . وفور الموافقة توجه عرابى ورفاقه إلى الخديوى وشــكروه على موافقته لمطالب الأمة ، وأقسم الخديوى لهم بأنه مرتاح لما فعــل وأنه وافق على تلك الطلبات بنية صافية . فكرر عرابى شكره والدعاء له . وعلى الفور أمر عرابى بإنصراف الوحدات العسكرية إلى مراكزها ما عدا لواء السودان الذى قرر قضاء ليلته في ضيافة لــواء الحــرس الخديوى بقشلاق عابدين . وفي يوم ١٠ سبتمبر ١٨٨١ توجه عرابى إلى سراي شريف باشا وهنأه برئاسة الوزارة الجديدة ، وطلب منــه أن

يهتم كثيرا بانتخاب من يؤازرونه وأن يسرع أيضا في مشروع مجلس النواب ، والعمل على نشر الحرية في البلاد ، كما أشار إلى رغبته في تعيين محمود سامي باشا البارودى وزيرا للحربية ، وكذلك إهتمامه بـ مصطفى فهمي باشا وأمله فى أن يكون وزيرا للخارجية . ولكن شريف باشا رفض ذلك كلية وقال لعرابى : " إني لا أقبل أن يكون في وزارتي محمود سامي ولا مصطفى فهمي لأنهما لم يوفيا بالعهد الذي تعاهدنا عليه من قبل ، فقد إتفقنا على إنه إذا رفض الخديوى الموافقة على تأليف مجلس نواب فسوف تستقيل الحكومة ولن يشترك منها أحدا بعد ذلك في الوزارة الجديدة ، ولكنهما نكثا بالعهد وقبلا الدخول في وزارة رياض باشا التي قامت بعد وزارتنا والتي سقطت بالأمس ... ولذلك لا أستطيع أن أعمل معهما " . فرد عليه عرابى قائلا: " إن لكل وقت حكماً وأني أثق بحبهما للحرية والعدل والمساواة ... وفضلاً عن ذلك فإن الجيش لا يطمئن لغير محمود سامي باشا خاصة فى هذا الوقت العصيب جدا الذى لا يحتمل التأخير لأن الجميع يتربص بنا ". فقال شريف باشا : " أفلا ترضون أن أكون وزيرا للحربية، فأني قد تربيت معكم في العسكرية " . فرد عليه عرابى وهو يبتسم : " لقد اخترناك رئيساً للوزارة ولابد من مراعاة ميول رجال الجيش " . ولكن شريف باشا أصر على عدم قبولهما في وزارته . وهنا تركه عرابى وإنصرف وهو غاضب نتيجة لإصرار شريف باشا ، إضافة إلى تخوف عرابى من أن يستغل

الخديوى توفيق ذلك الخلاف ويعمل على تصعيد المقربين منه لتشكيل الحكومة .

وزارة شريف باشا : في يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ إلتقى أحمد عرابى وعدد من رفاقه بشريف باشا فى منزله وقال له عرابى بلهجة صارمة أنه لا يمكن ترك البلاد بلا حكومة . ومع ذلك أصر شريف باشا على رفض محمود سامى ومصطفى فهمى . لكن عرابى قال له بغضب : "نحن فى وضع حرج للغاية .. وإن لم تؤلف الوزارة اليوم فسنطلب غيرك ... ولا تظن أنه ليس بمصر سواك ... ففيها بحمد الله العلماء والحكماء ولم يكن اختيارك لعدم وجود غيرك لهذا المركز الخطير ". وهنا يقول عرابى: " وبعد أن قلت له ذلك .. أغرورقت عيناه بالدموع ولم يحر جواباً ... وشعرت بالضيق لما قلته له... ثم خرجنا من عنده . ولكن بعد قليل جاءنا الشيخ بدراوي عاشور (وكيل زراعته) وقال لنا : أن الباشا قبل ما عرضته عليه وأنه يريد مقابلتكم " . وذهب عرابى إليه ومعه محمود سامي باشا البارودى وأعلن شريف باشا فى وجودهما تأليف الوزارة على الوجه الآتي : شريف باشا : رئيساً للوزراء ووزيرا للداخلية ، محمود سامي باشا : وزيرا للحربية والبحرية ، حيدر باشا : وزيراً للمالية ، إسماعيل أيوب باشا : وزيرا للأشغال ، مصطفى فهمي باشا : للخارجية ، زكي باشا : وزيرا للأوقاف والمعارف ، قدري باشا : وزيرا للحقانية . ثم رفع شريف باشا تقريرا إلى الخديوى تضمن

برنامج الحكومة السياسى والذى ستسير عليه والأعمال التي ستباشرها . فأجاب عليه الخديوى بالموافقة . وفي يوم الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٢٩٨ ذهب عرابى مع عدد من كبارالضباط بالنيابة عن الجيش لمقابلة شريف باشا وتهنئته برئاسة الحكومة، وطلب منه العمل من أجل حصول الجيش على حقوقه . وإستجاب شريف باشا لحديث عرابى وسط جو تفاؤلى . وفي ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ قدم شريف باشا إلى الخديوى تقريراً مرفقا بمذكرة تتضمن قوانين الإصلاحات العسكرية والسياسية التي تم الإعلان عنها يوم حادثة عابدين الشهيرة والتى جاء فى مقدمتها إنشاء مجلس نواب عصرى وإنتخاب أعضائه فى إطار ديمقراطى (الجدير بالذكر أن المذكرة التى رفعها شريف باشا للخديوى جاءت بناء على الطلب الذى قدمه عرابى ورفاقه من أعضاء الحزب الوطنى والمذيل بتوقيعات "١٦٠٠" مصري يطالبون بإنشاء مجلس نيابي).

فى ٣ أكتوبر ١٨٨١ ورد من الآستانة تلغراف يفيد بزيارة الوفد الشاهانى لمصر برئاسة على نظامى للتشاور مع الحكومة فى الشأن الداخلى . وكان سبب زيارة الوفد الشاهاني هو التحقيق فى التمرد العسكري الذي أشاعته أوربا ضد مصر لتجعله وسيلة للتدخل في شأنها بهدف القضاء على الروح الوطنية الجديدة وعلى ما تم من إصلاحات داخلية . ولقد توجس الخديوى من جراء ذلك شراً ، لذلك إتفق مع

شريف باشا رئيس الحكومة الجديدة على إبعاد رجال الوفد الشاهانى ما أمكن عن مقابلة قادة الجيش ، وطلب منه أيضا إعطاء صورة وردية حول علاقة الشعب بالسلطة . وعلى الفور تم الإتفاق مع وزير الحربية وقادة الجيش على ضرورة إخلاء القاهرة من مظاهر التواجد العسكرى حتى لا تعطى إشارة سلبية للوفد الشاهانى. ونص الإتفاق على سرعة إرسال اللواء السوداني إلى دمياط ، واللواء الرابع برئاسة عرابى إلى رأس الوادي ، وفى المقابل موافقة الخديوى على إجراء انتخابات مجلس النواب. ووافق الخديوى على المذكرة الإصلاحية في ٤ أكتوبر سنة ١٨٨١ الموافق ١١ ذي القعدة سنة ١٢٩٨هـ .

ولكن كيف تم إخلاء العاصمة من مظاهر الوجود العسكرى ؟ : تمثل إتفاق الإخلاء فى إرسال اللواء السوداني إلى دمياط . واللواء الرابع إلى رأس الوادي ، لذلك تحرك القائد عبد العال بك بلوائه السودانى قاصدا دمياط وأخذ معه سرية موسيقى اللواء الثاني مشاة حيث إتجه إلى محطة السكة الحديدية ماراً بوسط المدينة ، وقد سبقه إليها معظم ضباط الجيش وضباط البوليس للقيام بواجب التوديع على باب محطة السكة الحديدية، وكان عدد الحضور كبيرا للغاية . ولما وصل عبد العال بجنوده وعساكره إلى المحطة أخذ عناني بك (أحد أعيان القاهرة) ينثر الورود والرياحين على رؤوس العساكر وقد سقى الناس شراباً سكرياً في ذلك اليوم إكراماً للجيش المنقذ للبلاد من هاوية الاستبداد . وكان

عرابى مع وزير الحربية محمود سامي باشا ضمن جملة المودعين على باب محطة سكك حديد مصر. وفى هذا الحفل قـرأ كـل مـن محـرري جريدتي الطائف والمفيد (عبد الله نديم وحسن الشمسي) خطاباً عاطفيـا تضمن المدح والثناء علي ضباط وهيئة الجيش . أما الخطاب الذى قرأه عبد الله النديم فكان عنوانه: "حماة البلاد وفرسانها" وفيه قال : " من قرأ التواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقـدار ما وصلتم إليه من الشرف وما كُتب لكم فـي صـفحات التـاريخ مـن الحسنات ... فقد ارتقيتم ذروة ما سبقكم إليها سابق ولا يلحقكـم فـي إدراكها لاحق إلا وهي حماية البلاد وحفظ العباد وكـف يـد الاسـتبداد عنها ... فلكم الذِكر الجميل والمجد المُخلد يباهي بكم الحاضر من أهلنا ويفاخر بمآثركم الآتي من أبنائنا ... فقد حيي الوطن حياة طيبة بعد أن بلغت الروح التراقي ... فإن الأمة جسد والجُند روحه ولا حياة للجسـم بلا روح . وهذا وطنكم العزيز أصبح يناديكم ويناجيكم ويقول لكم (وأخذ النديم يقرأ أبيات الشعر التالية):

إليكم يرد الأمـر وهو عـظيم   فإني بكم طول الزمان رحيم

إذا لم تكونوا للخطوب وللردى   فمن أين يأتي للـديار نعيم

وإن الفتى أن لم ينازل زمـانه   تأخر عنه صاحب وحـميم

وبعد تلاوته الأبيات الشعرية أخذ يقول: " وقد ذكرت باتحـادكم وحُسـن تعاهدكم ما كان من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم

عند تغيُّب سيدنا عثمان في أهل مكة من مبايعة أهل الشجرة على حفظه وصيانته صلى الله عليه وسلم ... فصاروا يعنونون بالعشرة المُبشرين بالجنة . وأنتم قد تعاهدتم على حفظ الأوطان وبقاء سطوة مولانا الخديوى وتأييد ملكه ... وتبايعتم على الدفاع ووقاية أهليكم من كل ما يذهب بالثروة أو يضعف القوة أو يخدش الشرف فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ... وذلك هو الفوز العظيم".

وفي ٨ أكتوبر سنة ١٨٨١ سافر عرابى إلى رأس الوادي ومعه جنوده وعساكره ، ومر بلوائه في وسط مدينة القاهرة باتجاه منطقة باب النصر والموسيقى العسكرية تعزف في مقدمة جنود اللواء كما هى العادة إلى أن بلغ مسجد سيدنا الحُسين حيث وقف اللواء عرابى مقابلاً للمسجد تعظيماً له . ثم دخل عرابى وبعض الضباط إلى المقام الحسيني لتأدية بعض الشعائر الدينية حيث قام عرابى بإمرار بيرق اللواء على الضريح الشريف ، وسألوا الله أن يوفقهم لما فيه خير البلاد ونفع العباد ، ثم خرجوا وساروا بلوائهم بإنضباط عسكرى رائع ، وكانت الشوارع ممتلئة بالمودعين والمتفرجين إلى أن بلغوا محطة السكة الحديد بوسط القاهرة . وكان قد سبق إلي المحطة جميع ضباط الجيش المصري ورؤسائه وكثير من كبار علية القوم والتجار وعامة الناس . وعلى باب محطة مصر ألقى عرابى خطبة قال فيها : " سادتي وإخواني... بكم ولكم ... قمنا وطلبنا حرية البلاد وقطعنا غرس الاستبداد ... ولا ننثني

عن عزمنا حتى تحيا البلاد وأهلها ... وما قصدنا بسعينا إفساداً ولا تدميراً ، ولكن لما رأينا إننا بتنا في إذلال واستعباد ولا يتمتع في بلادنا إلا الغرباء... هنا حركتنا الغيرة والوطنية والحمية العربية إلى حفظ البلاد وتحريرها ، والمطالبة بحقوق الأمة . وقد ساعدتنا العناية الإلهية ومنحنا مولانا وأميرنا الخديوى ما طلبناه من سقوط وزارة المستبد علينا السائر بنا في غير طريق الوطنية ، وتمتعنا بمجلس الشورى لتنظر الأمة في شئونها وتعرف حقوقها كباقي الأمم المتمدنة في العالم . ومن قرأ التاريخ يعلم أن الدول الأوربية ما حصلت على الحرية إلا بالتهور وإراقة الدماء وهتك الأعراض وتدمير البلاد ، ولكن نحن إكتسبناها في ساعة واحدة من غير أن نريق قطرة دم أو نُخيف قلباً أو نُضيع حقاً أو نخدش شرفاً ، وما أوصلنا إلى هذه الدرجة القصوى إلا الاتحاد والتضافر على حفظ شرف البلاد . فالآن ننادي بصوت واحد "فليعش الخديوى واهب الحرية... فليعش الجيش المصري طالب الحُرية... فلتعش الحُرية في مصر خالدة مؤبدة . ولقد ألقينا مقاليدنا إلى وزرائنا الكرام ورئيسهم الشهم الهُمام شريف النفس عظيم القدر وبين أيديهم عقبات ومصاعب فلا نزدهم ارتباكاً بتخاذُلنا . بل نلزم وحدة الاتحاد ونحافظ على البلاد ونسير معهم في طريق الإصلاح أينما ساروا . .. وإنا ذاهبون إلى رأس الوادي امتثالاً لأمر رئيسنا الوطني الحُر القائم بخدمة الوطن وأهله سعادة محمود باشا سامي ناظر

جهاديتنا ... ليعلم الجميع إن قيامنا كان لطلب الحقوق لا للعقوق . وإن الطمأنينة عادت كما كانت ، وعدنا إلى ما نشأنا عليه من طاعة مولانـــا الخديوى وخضوعنا له ولوزرائه الفخـــام ... فـــلا تأخـــذكم الأراجيـــف وإشاعات أعداء الوطن وثقوا بسعي أميرنا ورجاله ".

وبعد إنتهاء عرابى من خطبته قام عبد الله النديم ، وكان قد عـــاد مـــن دمياط فخطب الحاضرين أيضا . وفى الوقت ذاته كـــان مصـــطفى بـــك عنانى وبعض الأهالي ينثرون الزهور والرياحين على رؤوس العســـاكر ويقدمون لهم الحلوى ويسقون الناس شراباً سُكرياً .

ولما قرب وقت مسير القطار صاح عرابى مودعا جميع المشيعين ، ثم سار بهم القطار قاصداً مدينة الزقـــازيق ، وكـــان بصـــحبتهم عبـــد الله النديم . وهنا يقول عرابى: " وكنا في أثناء المسير كُلما وقفنا في محطة يستقبلنا الأهالي بالفرح والسرور ومزيد من الاحتفاء والإجلال. فيخطب عبد الله النديم فيهم بمثل ما سلف ذكـــره ... وقـــد إســـتمرت مظـــاهر الاحتفالات على هذا المنوال إلى أن دخل القطار محطة الزقازيق (مركـــز مديرية الشرقية) فاستقبلنا فيها جمهور الأهالي والتُجار يتقدمهم أمـــين بك الشمسي وهتفت الجماهير لنا وللجيش بالـــدعاء وعلـــى وجـــوههم علامة الفرح والسرور". ولما وقف القطار نثروا على العســـاكر الـــورد والأزهار العطرية وسقوهم الأشربة السُكرية ، ثم خـــرج عرابـــى مـــن القطار وسلمت على جموع المُستقبلين وألقي عليهم خطاب جاء فيـــه: "

سادتي وإخواني ... أنا أخوكم في الوطنية واسمي أحمد عرابي ولـدت في بلدة (هرية رزنة) من بلاد الشرقية هذه ....لقد بلغكم ما تطلبناه من قطع عرق الاستبداد وتحرير البلاد وأهلها . وبعناية الله سبحانه منحنـا مولانا الخديوى هذه الأمنية .. فنحن لم نخرج من العاصمة عصياناً ولا تظاهراً بعدوان . وإنما سِرتُ بالجيش ووقفت بين يدي الخديوى وقفـه الطالب الراجي كرم مولاه . فلا تعولوا علي الأراجيف وإشـاعات أهـل الفساد .... وأعلموا أن البلاد محتاجة إلـى الخدمـة بـالقوة والفكـر والعمل ... أما القوة فنحن رجالها ، وأما الفكر فهـو منـوط بأميرنـا الأعظم ووزرائه الكِرام ، وأما العمل فهو منوط بكم فإن وقد طلبنا لكـم مجلس الشورى لتكون الأمور منوطـة بأهلهـا والحقـوق محفوظـة لذويها ... وهذه نعمة كُبرى نشكر الله عليها كما نشـكره علـى نجـاة الوطن وأهله من رق العبودية واستنشاق نسيم الحُرية " . وبعد تلـك الخطبة إنطلق القطار بعرابى وضباطه وعساكره قاصداً رأس الـوادي . وبعد يومان من استقرار عرابى وجنوده برأس الوادى ، وهنـاك قـام أمين بك الشمسي رئيس تُجار الزقازيق بدعوة عرابى وضباطه وجنوده على وليمة ضخمة إكراماً لهم واحتفالاً بهم . وفى هذا الحفـل البهـيج ألقي عرابى على جماهير أعيان مديرية الشرقية خطاباً تحدث فيه عـن المخاطر التى تحيط بالبلاد . وفي اليوم التالي دُعي عرابى لوضع أساس المدرسة الأميرية بالزقازيق، ثم تلى على الحاضرين خُطبة أخرى ذكـر

لهم فيها فوائد التعليم ومنافعه ، وفضل العالِم على الجاهل والبصير على الأعمى . وحرضهم عرابى فى خطبته على الاهتمام بأمر تعليم أولادهم ليكونوا مُستعدين لخدمة بلادهم في المستقبل .

وبعد إنتهاء زيارة الوفد الشاهانى لمصر فى ١٨ أكتوبر سنة ١٨٨١ نقل عرابى ثانية إلى العاصمة بعد أن تم ترقيته لمنصب وكيل وزارة الحربية وحصوله على رتبة اللواء ولقب الباشا . وقبل عرابى ترقيته لمنصبى وكيل الوزارة واللواء ، ولكنه رفض رتبة الباشا حتى لا تثار حوله القيل والقال . المثير للجدل أنه في ٢٠ أكتوبر ١٨٨١ أرسل نوبار باشا إلى أحمد عرابى مندوبا من طرفه يدعى أحمد قبودان البكري من موظفي بوغاز الإسكندرية ليشكره ورفاقه على إنقاذ الوطن من ظلم الظالمين وجور المستبدين ، ويعرض عليه أنه مستعد لقيادة حركتهم الوطنية إذا نصبوه رئيسا للحكومة بدلا من شريف باشا . فعجب عرابى ورفاقه من ذلك العرض الغريب ، وبعث عرابى برسالة شفهية مع مندوب نوبار باشا قال له فيها : " أخبر نوبار باشا بأن مبدأنا هو أن تكون مصر للمصريين، وأن النزلاء عندنا لهم حُسن الضيافة ومزيد من الإكرام وليس حكم البلاد" .

وفور حصول عرابى على الترقية إلى وكيل وزارة الحربية حدث تغير كبير فى حياته ، فقد توافد على منزله العديد من الوفود من المتظلمين من أرجاء البلاد حتى كانت ساحة منزله لا تسع الزائرين والمتظلمين ..

وكان كثير من الأوربيين ومحررى الجرائد الأجنبية والوطنية يحضرون إلى منزله لاستطلاع سياسته الجديدة والوقوف على ما يدور بأفكاره . وهو ما أنهكه كثيرا . وفي تلك الفترة حضر إلى منزله المستر ولفرن سكاون بلانت وهو محب للشرق وخاصة مصر وكان معه صديقه العلامة القس لويس الصابونجي صاحب جريدة النحلة ، وعرض بلانت على عرابى قبول صداقته .. فقبل عرابى على أن تكون الصداقة لخدمة المصريين" . كما حضر لزيارة عرابى كاتم أسرار ملكة بريطانيا العظمى السير وليم جريجوري (أيرلندي الأصل) وسأله الرجل عما ينوى عمل ، فطمأنه عرابى وقال له : " لا خوف على رعايا الدول المتحابة مع مصر، فهم آمنون على أنفسهم وأموالهم بضماننا وكفالتنا ... وإننا لا نريد إلا الحرية وقطع عروق الاستبداد ، وقد تم لنا ذلك بتأليف مجلس نيابي ، وبرضاء واستحسان الخديوى " . فى تلك الفترة أيضا قدم عرابى إلتماسا إلى الخديوى توفيق عن طريق وزير الحربية ترجاه فيه بالإفراج عن المسجونين ظلما خلال فترة الاستبداد التى وقعت على يد رئيس الحكومة السابق . ووافق الخديوى وتم الإفراج عن جميع المسجونين ، ومنهم أحمد بك أبو ستيت من مديرية سوهاج وحسن موسى العقاد من أعيان القاهرة . وفي أوائل شهر يناير سنة ١٨٨٢ إلتقى عرابى بوزير الحربية محمود باشا سامي ، وأثنى الأخير على دور عرابى فى قيامه بنشر راية الحرية في مصر وملحقاتها من الدول التى

تعمل تحت التاج المصرى . وفى هذا اللقاء أقسم محمود سامى لأحمد عرابى بأنه مستعد لأن يضحي بحياته ويجود بآخر نقطة من دمه في تنفيذ رغبة عرابى من أجل حماية مصر والمصريين . فقال له عرابى: " نحن نريد تحرير بلادنا ولا نرى سبيلا لحصولنا على ذلك إلا بالمحافظة على الخديوى وهو ما صرحت به مراراً وتكرارا ... وليس بي طمع أصلا في الاستئثار بالمنافع الشخصية ... ولا أريد انتقال الأريكة الخديوية إلى عائلة أخرى لما في ذلك من الضرر على مصر والمصريين .. ". وقد جاء رد عرابى ذلك للقضاء على الشائعة التى أطلقها الإنجليز من أن عرابى يريد الإستئثار بالحكم .

صندوق إدخار لضباط الجيش : في تلك المرحلة أيضا قررت وزارة الحربية برئاسة عرابى ورئيس الحزب الوطنى إنشاء صندوق إدخار للضباط جميعاً على اختلاف رتبهم بحيث يضع الضباط ٥% من راتبهم الشهرى على أن يتم بتلك الأموال شراء سندات مالية مصرية وتضاف الفائدة إلى الأصل في نهاية كل عام .

(٤)

التدخل البريطانى والفرنسى لإجهاض الحركة الوطنية

بعد إجراء انتخابات مجلس النواب في الوجهين القبلي والبحري أختير يوم الاثنين ٥ صفر سنة ١٢٩٩ والموافق ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ لافتتاح المجلس الجديد ، وكان الإحتفال مهيبا . لكن بعد ذلك حدث خلاف بين الحكومة ومجلس النواب حول الميزانية ، وعلى أثر ذلك تدخلت انجلترا وفرنسا لتوسيع ذلك الخلاف أملا فى إجهاض التيار الوطنى، فقد ورد تلغراف يفيد بأن انجلترا وفرنسا متفقتان على أن ترسلا إلى الحكومة الخديوية مذكرة تعلنان فيها أنهما ستتدخلان لدعم الحكومة إذا استمر الاضطراب في القُطر المصري أو فى حالة تعرض السلطة الخديوية لأى خطر . وفى غضون ٢٤ ساعة توجه وكيلا بريطانيا وفرنسا بمصر إلى سراي عابدين في ١٩ صفر سنة ١٢٩٩ الموافق ١٠ يناير سنة ١٨٨٢ وقدما للخديوى مذكرة مشتركة وردت إليهما من وزارة الخارجية بكلا الدولتين فى هذا الشأن . وعندما علم المصريون بشأن تلك المذكرة حدث هرج وإضطراب فى أنحاء القطر المصرى خاصة بين قادة الجيش ومجلس شورى النواب ومأمورو الحكومة . وقد إرتاب الجميع من تلك المذكرة وأيقنوا أن المراد منها هو

مزيد من التدخل الأجنبى وجعل البلاد تحت وصاية انجلترا وفرنسا .
وعلى الفور توجه وزير الحربية محمود باشا سامي إلى مجلس الوزراء وبحث معهم تطورات الموقف على ضوء المذكرة وأبلغهم ردود أفعال الجيش الغاضبة من تلك المذكرة . وعليه قررت الحكومة المصرية التوجه فورا إلى مقر الخديوى توفيق لعرض الأمر عليه . فى الوقت نفسه إعترض الباب العالي على هذه المذكرة بمذكرة مثلها بعثت بها وزارة الخارجية العثمانية إلى الدولتين (الإنجليزية والفرنسية) .

محاولة الوقيعة بين الحركة الوطنية والآستانة : فى الوقت نفسه عمل المحيطون بالخديوى توفيق على تصعيد حدة الخلاف بين الآستانة وضباط الجيش ، وقد سرت شائعة بأن الضباط المصريون المنتمون إلى الحزب الوطنى يسعون إلى إحياء مجد مصر الذى أرساه قائد الجيش المصرى الأسبق إبراهيم باشا ، وذهب ثابت باشا إلى الآستانة ليخبر رجال الدولة العلية بأن الحركة الوطنية المصرية تسعى إلى إنشاء خلافة عربية تضم تحت لوائها جميع الدول العربية التى كانت من قبل تحت التاج المصرى وهم السودان وبلاد الحجاز واليمن والعراق والشام إلى طرابلس الغرب وغيرها وذلك لإحياء الإمبراطورية المصرية التى أقامها محمد على الكبير والقائد المصرى إبراهيم باشا ، ولكن ذلك لم يلق صدى داخل الآستانة .

مؤامرة بريطانية ضد الحزب الوطني: فى تلك الفتــرة نشــرت جريــد التيمس اللندنية صفحة كاملة إدعت فيها أن أحمد عرابي باشـــا أرسـل إليها برنامج حزبه الوطني المصري ومطالبه وأمانيه ومســاعيه فــى المرحلة المقبلة إلى . وعلى الفور تناقلت بعــض الجرائــد الإنجليزيــة وشركات التلغراف ذلك الخبر وقامت بتضخيمه ، لكن جريــدة الوقــائع المصرية كذبت الخبر وقالت أنه عار عن الصحة ، ثــم كذبــه المســتر "ولفرد بلنت" بقوله : "إن اللائحة المشتملة على أفكار الحزب الــوطني التي نشرتها جريدة التيمس لم ترسل إليها من أحمد عرابي باشا بصفة رسالة بقلمه وإمضائه كما زعم تلغراف ووكالة رويتر والتيمس ، بل ما حدث هو اجتماعي معه ومع زملائه من رجال الجيش المصري وبعــض علماء الأمة المصرية ومنهم الشيخ محمد عبــده ... وقــد رأيــت أن أفكارهم لا تخرج عن هذه اللائحة ، وبعد أن كتبتها ، قمــت بعرضــها عليهم بما فيهم عرابى ، فقالوا لى جميعا : هذه هــي أفكــار الحــزب الوطني ، ولما وافقوا عليها قمت بأرسالها إلى جريدة التيمس باســمي وإمضائي وليس بإسم عرابي باشا كما إدعت تلك الجريدة وغيرها وهو ما كذبته " . ويذكر أنه جاء في هذه اللائحة التى كتبها بلنت : أولاً : يرى الحزب الوطني محافظته على العلاقات الودية القائمة فعــلا بــين الحكومة المصرية والباب العالي ، واتخاذ ذلك الباب ركناً أساسيا يستند عليه في أعماله .. ويعتقد أعضاء الحزب الوطنى أن جلالــة الســلطان

عبد الحميد هو مولاهم وخليفة الله في أرضه وإمام المسلمين ، ولا يريد الحزب قطع هذه الصلات والعلاقات ما دامت الدولة العلية في الوجود . وأن الحزب سوف يحافظ على امتيازاته الوطنية بكل ما في وسعه ويقاوم من يحاول إخضاع مصر وجعلها ولاية عثمانية . ثانياً: أن الحزب يخضع للجناب الخديوي الحالي وهو مُصمم على تأييد سلطته ما دامت أحكامه جارية على قانون العدل والشريعة حسب ما وعد به المصريين في شهر سبتمبر سنة ١٨٨١ . وأن الحزب سيستمر في مفاوضاته مع الحضرة الخديوية لتنفيذ ما وعدت به من الحكم الشورى وإطلاق عنان الحُرية للمصريين . ثالثاً : الحزب الوطنى يعلم أن استمرار المراقبة الأوربية هي الكفالة العظمى لنجاح أعمالهم مع قبولهم تلك الديون الأجنبية حرصاً على شرف الأمة ، وإن كانت تلك الأموال لم تُصرف في مصلحة مصر ، بل صُرفت في مصلحة حاكم ظالم كان لا يسأل عما يفعل . رابعاً : ليس لرجال الحزب الوطني صلة بأعمال الشغب التى تقوم بها عناصر إرهابية هدفها إحداث القلاقل في البلاد وذلك لمصلحة شخصية تحسن بها أحوالهم أو خدمة للأجانب الذين يرفضون استقلال مصر ويسعون للقضاء على الحركة الوطنية. والحزب يرى أن القضاء على هذه الظاهرة يتطلب تعميق دور مجلس الشورى وإعطاء مزيد من حرية المطبوعات بطريقة ملائمة وتعميم التعليم ونمو المعارف بين أفراد الأمة . خامساً : الحزب الوطني حزب سياسي لا

ديني وأن أعضائه من رجال مختلفي الاعتقاد والمذاهب ، ومن يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها له الحق في الإنضمام لهذا الحزب .
سادساً : آمال هذا الحزب محصورة في إصلاح البلاد مادياً وأدبياً ولا يكون ذلك إلا بحفظ الشرائع والقوانين وتوسيع نطاق المعارف وإطلاق الحُرية السياسية التي يعتبرها الحزب حياة للأمة .

سقوط وزارة شريف باشا : في يوم الثلاثاء الموافق ١١ ربيع أول سنة ١٢٩٩ هـ أعلن مجلس الوزراء برئاسة شريف باشا أن وكيل دولة كل من فرنسا وانجلترا يعتقدان أنه لا حق لمجلس النواب في تقرير الميزانية . وعلى ضوء ذلك إجتمع مجلس النواب لبحث المقترح الحكومي في منزل محمد سلطان باشا رئيس المجلس ، وبعد مشاورات دامت عدة ساعات قرر أعضاء المجلس عدم قبول تعديلات حكومة شريف باشا . وفى ١٣ ربيع الأول ١٢٩٩ ه إجتمع شريف باشا وقنصلا بريطانيا وفرنسا بالخديوى ، وأصر شريف باشا على عدم موافقته على لائحة النواب التى تدعمها حكومتى بريطانيا وفرنسا ، وأعلن أن إستقالة الحكومة مقابل اللائحة ، وفى النهاية قبلت إستقالته.

وزارة محمود سامي : وفي صباح يوم الجمعة الموافق ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٩٩ إجتمع الخديوي مع أعضاء اللجنة البرلمانية وتم التوصل إلى إختيار حكومة إنقاذ وطني برئاسة محمود سامى باشا الذى وافق على لائحة مجلس النواب ، وفى هذه الحكومة تم تكليف عرابى بوزارة

الحربيةً . وقد اجتمع عقب ذلك عدد من ضباط الجيش بقيادة عرابى في سراي قصر النيل ، واحتفل الجميع بالوزارة الجديدة ، وشكروا الخديوى على ذلك ، كما هنأ الجميع محمود سامي باشا برئاسة الحكومة التي وافقت على لائحة مجلس النواب.

رعاية ضحايا الحرب : بعد تولى أحمد عرابى وزارة الحربية والبحرية بدأ في تنفيذ القوانين والإصلاحات العسكرية الجديدة التي إعتمدها الخديوى ومنها صرف مستحقات ورثة المتوفين في الحروب السابقة وغيرها الذين لم يلتفت إلى شكواهم منذ زمن بعيد تنفيذاً لقانون المعاشات الجديد . كما أصدر عرابى أمرا بتأليف لجنة عسكرية مكونة من قاسم بك فتحي وغيره من الأطباء لفرز الضباط العاملين والذين تم إستدعائهم لمعاملتهم طبقا لقانون المعاشات . وقد أتمت اللجنة عملها وقدمت الكشوف الخاصة بذلك إلى ديوان الحربية ، وقد بلغ عدد هؤلاء نحو ثلثمائة ضابط تجاوزوا السن المحدد لكل رتبة طبقا للقانون المذكور ، وكان ضمن هؤلاء عدد كبير من شيوخ التُرك والجركس فأحيلوا جميعاً على المعاش .

مؤامرة الضباط الجراكسة لإغتيال عرابى ورفاقه : في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٢٩٩ إتصل طلبه باشا عصمت حكمدار اللواء الأول وأخبر عرابى بأن راشد أفندي أنور قال له أن بعض ضباط الجراكسة تحالفوا على اغتيال وزير الحربية ورؤساء الضباط الوطنيين وجميع وزراء

الحكومة . ثم ذكر له أسماء بعض المتآمرين . وعلى الفور إتصل عرابى برئيس الوزراء وعقد إجتماع عاجل للحكومة عرض فيه عرابى الأمر عليهم . وإتفق على عرض الأمر بكامله على الخديوى . وقرر الأخير إجراء تحقيق فورى حول ملابسات تلك المؤامرة في مجلس حربي . وبناء عليه تم تشكيل مجلس حربي مكون من عشرين عضوا من بينهم : مرعشلي باشا ومحمد رضا باشا وخورشيد طاهر باشا وكان المجلس برئاسة الفريق راشد باشا حسني الجركسي نظرا لاعتداله ونزاهته وصلاحه حتى يكون التحقيق خالياً من الأغراض وتكون الأحكام عادلة لا يشوبها شيء من الظلم . وأمر المجلس بالقبض علي المتهمين للتحقيق معهم ، ويذكر أنه أثناء القبض عليهم وجد مع بعضهم آلات نارية غير الأسلحة الأميرية ، وقد اعترف هؤلاء باشتراك غيرهم معهم في تلك المؤامرة. وكان من بين المتهمين عثمان باشا رفقي ، ويوسف بك نجاتي ، ومحمود بك فؤاد ، وقال بعض المتهمين أن راتب باشا هو المؤسس لتلك المؤامرة . ثم شرع المجلس في التحقيق ، وصدر الحكم في ٣٠ أبريل سنة ١٨٨٢ على الضباط المتهمين وعددهم ٤٠ ضابطاً ومنهم عثمان باشا رفقي بالنفي المؤبد إلى أقاصي السودان مع التجريد من الرتب العسكرية والإمتيازات ونياشين الافتخار.

عرابي يتدخل لتخفيف الأحكام : بعد صدور الحكم على المتآمرين تدخل عرابى وتوسل لدى الخديوى كى يخفض من تلك الأحكام بحيث يتم إرسالهم أولا إلى الآستانة العلية ثم بعد فترة وجيزة يصدر عفو الخديوى عنهم ، ويعودوا إلى أولادهم ووطنهم مصر . ولقد تعجب الخديوى توفيق والوزراء من تلك الشفقة المتناهية . وبالفعل وافق الخديوى على ما طلب عرابى وأصدر أمره بنفي المحكوم عليهم من القطر المصري مع الترخيص لهم بالتوجه إلى أى مكان يشاءون برتبهم ونياشينهم . وبسبب هذه الحادثة حملت الجرائد الإنجليزية على مصر حملة عنيفة وخاصة جريدة التيمس ونسبت إلي الحكومة المصرية أنها كانت تقوم بتعذيب المتهمين بلا رحمة ولا شفقة(وتشير بعض التحليلات إلى أن المخابرات البريطانية كانت وراء محاولة إغتيال عرابى أملا فى التخلص منه ومن رفاق حزبه) . وهنا أرسل عرابى إلى صديق له بإنجلترا رسالة وهو المستر بلانت لنشرها في الصحف البريطانية لإظهاراً للحقيقة ، وكان عنوان رسالته " إماطة الباطل عن وجه الحق المبين " وذلك بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٨٨٤ .

مؤامرة إنجلترا وفرنسا ضد الحركة الوطنية: لما رأت إنجلترا نجاح الحزب الوطني في تحقيق برامجه وعلمت بتأليف وزارة وطنية حُرة برئاسة محمود سامى البارودى . وأن تلك الوزارة صادقت على قانون مجلس النواب الأساسي ولائحة انتخاب أعضائه ، ثم صدور الأمر

الخديوي بالتصديق عليهما، هنا قررت لندن التدخل ، وعليه عملت على استمالت الحكومة الفرنسية إلى جانبها أملا فى القضاء علــى الحركــة الوطنية المصرية. ونظرا لوجود تحالف سرى بــين لنــدن والخــديوى توفيق قبيل عزل إسماعيل باشا ، فقد صرح من باريس المســيو " دي فريسينيه " رئيس وزراء فرنسا آنذاك بأن فرنسا تود حفــظ اســتقلال القطر المصري طبقا للفرمانات الدولية ، وأن الحــوادث التــى وقعـت بالعاصمة المصرية ربما تستلزم اتفاق جميع الدول الأوربيــة لتســوية المسألة المصرية خاصة وأن الدول الأوربية تعترف لفرنســا وإنجلتــرا بأفضلية المصالح في ذلك القُطر لذلك سيكون من الواجب علــي لنــدن وباريس أن يديرا سياستهما بحزم وثبات" . وعلــى الفــور إنتشــرت الشائعات بأنه سيأتي إلى الإسكندرية أسطول فرنسي وآخر إنجليــزي ، وأن الباب العالي سيرسل إلى مصر وفداً مؤلفاً من بعض رجال الدولة ، وأن دول العالم وفي مقدمتها الدولة العلية ستتدخل بالفعل فــي أحــوال مصر. وبناء على ما تقدم توجس الشعب المصــرى خيفــة ، وأيقنــوا بقرب الحرب على مصر . وبتسارع الأحداث ورد تلغراف مــن بــاريس يؤكد أن الأسطول الفرنسي شق طريقه من ميناء " بيريه " باليونان وهو على مقربه من جزيرة كريت (التى كانت حتى وقت قريب تحــت التــاج المصرى) ، وسوف يلتقى بعرض البحر بالأسطول الإنجليزي القادم من كورفو ثم يسير الاثنان فى طريقهما إلى مدينة الإســكندرية المصــرية.

وفي ١٥ مايو ١٨٨٢ قام السير إدوارد مالــت والمســيو ســنكوفيش قنصلا إنجلترا وفرنسا بزيارة الخديوى توفيق وأخبراه بصفة رســمية بقدوم كل من الأسطول البريطانى والفرنسى ، وأنهمــا سيصــلان إلــى الإسكندرية في صباح ١٧ مايو ١٨٨٢ ، وأن قدومهما إلى مصر بصفة ودية . وفي ١٩ مايو ١٨٨٢ وصلت إلى ميناء الإســكندرية بارجــة إنجليزية ، وفي اليوم التالى وصلت بارجتان إنجليزيتــان أخرتــان . وفي ٢١ مايو دخلت مياه الإسكندرية سفينتان حربيتان تاليتان ، وعلــم في ذلك اليوم أن جميع الدول الأوربية (ما عدا إنجلترا وفرنسا) سترسل كل واحدة منهم سفينة حربية أو إثنتان إلى الميــاه المصــرية دون أن تنضم إلى الأسطولين الفرنسي والإنجليزي .

سقوط وزارة محمود سامي : بعد وصول السفن الحربيــة البريطانيــة والفرنسية إلى المياه الإقليمية المصرية ، جاء قنصل فرنسا الى منــزل رئيس الوزراء وأطلعه على طلب الدولتين . فما كان من رئيس الوزراء سوى استدعاء الوزراء والتشاور معهم في الأمر ، وبعد المداولة اتفق الجميع على أخذ رأي الخديوي توفيق في هذا الحادث الجلــل. وبالفعــل توجه رئيس الوزراء محمود باشا سامي ووزير الخارجية مصطفى باشا فهمي وأخبراه بما حدث ، فأجاب الخديوى أنه ينتظر في هــذا الشــأن تعليمات سوف ترد إليه بعد يوم أو يومان . وأخذت الإتصالات بعد ذلــك تجري بين القنصلين الفرنسى والإنجليزى من جهة ورئيس الوزارة من

جهة أخرى ، فى نفس الوقت كتبت جريد التيمس مقالا قالت فيه : " ان إرسال البوارج العسكرية إلى مياه مصر الإقليمية لم يقصد به إلا تعزيز سلطة الخديوي وتأييده ، وأن أول شيء يجب إجراؤه هو حمل عرابي باشا على التنحي عن الإدارة والسياسة والتخلص من الحكومة ، وإذا لم يكف إرسال القطع العسكرية البحرية لبلوغ تلك الغاية ، فسوف يترتب على ذلك استخدام القوة العسكرية لاكراه عرابي باشا وأعوانه على تنفيذ مطالب بريطانيا وفرنسا وذلك بإرسال قوات من الجيش إلى القطر المصري مع مراعاة عدم المساس باستقلال مصر، ويفضل أن تكون تلك القوات عثمانية . وإذا تمرد المصريون عليها أصبحت مصر عاصية على الدولة ، ويترتب على ذلك قيام دول العالم بإعادة النظر فى الشأن الداخلى المصرى " . وعلى الفور تناقلت الجرائد المصرية ذلك المقال وعلقت عليه بالشرح والملاحظات ، وكان لذلك وقع شديد التأثير في نفوس المصريين . وخلال ذلك طلب الباب العالي من فرنسا وإنجلترا أن تسحبا أسطوليهما ، لكن الدولتين أجابتا أنهما لن ينسحبا إلا بعد أن يستتب الأمن والنظام فى مصر(من وجهة نظرهما) . وفي ٢٥ مايو ١٨٨٢ تقدمت الدولتان الإنجليزية والفرنسية بالإنذار الأخير للحكومة المصرية بطريقة رسمية. وقد تضمن ذلك الإنذارالآتى : (١) إقالة الوزارة . (٢) ونفى أحمد عرابي باشا من القُطر المصري على أن تضمن له بريطانيا وفرنسا حفظ رتبه وراتبه الشهرى ونياشينه ،

(٣)وإبعاد كل من عبد العال باشا حلمي وعلي باشا فهمي إلـى خـارج القاهرة بحيث يقيمان في الأرياف على أن تضمن لهما لنـدن وبـاريس رتبهما ونياشينهما وراتبهما الشهرى . (٤) وفوق كل ذلـك تسـريح الجيش المصرى بحيث لا يبقى منه إلا القـدر الـلازم لحفـظ الحـدود الجنوبية . ولما تلقت الحكومة المصرية هذا الإنذار قامت بعقد اجتماع طارىء بمنزل رئيس الوزراء محمود باشا سامي وقرروا جميعا أن هذا الإنذار يعتبر تدخلاً مباشرا فى الشأن الداخلى وهـو مـا يعـد مخالفـا للمواثيق الدولية وضد الحقوق الوطنية ، وإتفقوا جميعا على ضـرورة عرض الأمر على الخديوى توفيق لأخذ رأيه . وتوجـه إليـه رئـيس الوزراء ووزير الخارجية وعرضا عليه قرار الحكومة برفض الإنـذار البريطانى الفرنسى رفضاً باتاً ، فأجابهما الخديوى بأنـه حصـل علـى نسخة من ذلك الإنذار وأنه إضطر إلى الموافقة عليه حقنا للدماء . لكن رئيس الوزراء ووزير الخارجية أكدا له أن هذا سيحدث خلافـا عظيمـا بين الوزارة والقصر وسيتطلب استدعاء مجلـس النـواب للنظـر فـي مصلحة البلاد ، وطلبا من الخديوى إصدار أمر بعقـد إجتمـاع عاجـل لمجلس النواب ، لكن الخديوى رفض ذلك . وفى النهاية إنصرف رئيس الوزراء ووزير خارجيته ، وعادا إلى بقية أعضاء الوزارة وأخبـروهم بما حدث ، فقرروا بالإجماع استدعاء مجلس النواب لعـرض الموقـف العام عليه . وبالفعل عقد مجلس النواب وعرض عليه ذلك الخلاف وبعد

مباحثات مطولة إمتدت لساعات طوال توصل الفرقاء إلى إقالة الحكومة وذلك في يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٨٢ ، وكان سبب الإقالة هو الإحتجاج على إنذار فرنسا وإنجلترا. وقبل الخديوى الإستقالة بهدوء شديد .

لا نرضى بغير عرابي : بعد إقالة الحكومة، أصدر الخديوى بيانا تم توزيعه على جميع الجهات يشير فيه إلى إقالة الحكومة . وفي ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ أقام الخديوى توفيق احتفالا حضره النواب والأعيان والعلماء . وبعد إنتهاء الحفل جاء للمعية الخديوية تلغراف من ضباط ألوية الجيش بالإسكندرية يفيد بأنهم لا يرضون البتة غير عرابي باشا وزيرا للحربية ، وفى حال عدم عودته إلى منصبه خلال ١٢ ساعة فقط ، فإنهم غير مسئولين عما سيحدث داخل البلاد من إضطرابات . وبالفعل بلغ الاضطراب جميع أنحاء القُطر مبلغاً عظيماً ، ثم حضر إلى العاصمة جميع أعيان البلاد ومستخدمي الحكومة وقدموا لعرابى وزملائه مئات العرائض بواسطة مديريهم ، وأظهروا فيها إحتجاجهم على قبول الخديوي إقالة الحكومة . وقد طالب المحتجون بأحد أمرين : إما رفض لائحة الإنذار التى تقدم بها الإنجليز والفرنسيين ، وأما عزل الخديوي الذي قبل تدخل الأجانب في أحوال البلاد الداخلية. فلما أحس الخديوى بذلك الخطر بعث بتلغراف إلى الحضرة السلطانية يخبرها أن الوزراء أعلنوا إستقالتهم إحتجاجا على قبول اللائحة التى قدمتها فرنسا وإنجلترا وأن الجيش غير راض على حدث . فى تلك الأثناء جاء تلغراف من

الباب العالي بفيد بأن الحضرة السلطانية أمرت بتأليف لجنة عثمانية ستأتي إلى مصر بعد ثلاثة أيام للنظر في الحالة الراهنة بالقاهرة. ومع تطور الأحداث وزيادة المخاوف حضر إلى منزل عرابى جميع قناصل الدول ما عدا قنصلي إنجلترا وفرنسا يطلبون منه التأمين على رعاياهم . فأجابهم عرابى بأنه تم إقالته من الحكومة ولم يعد يمتلك السلطة التى تخوله تحمل هذه المسئولية العظيمة. فقالوا له أن الجيش لا يخالف إرادته وأنه رئيس الحركة الوطنية داخل البلاد ، وأن الرعايا الأجانب لن يكونوا فى أمن وسلام إلا بإعطائك لنا كلمة شرف بحفظ الرعايا من أى خطر. وبالفعل أعطى عرابى قناصل الدول الأجنبية كلمة شرف بحفظ أمن الأجانب داخل البلاد ، ثم أرسل تلغرافاً إلى جميع المراكز العسكرية بصفة أنه رئيس الحزب الوطني ، وانه يريد منهم أن يلتزموا بالهدوء وأن يحافظوا على راحة الجميع ، ومنهم رعايا الدول الأجنبية ، وأن يعاملوهم بحُسن المعاملة وكمال المجاملة .

المطالبة بعزل الخديوى توفيق : في مساء السبت الموافق ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ تم دعوة عرابى إلى منزل محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب ، فذهب إليه ومعه كل من علي باشا فهمي وعبد العال باشا حلمي ومحمد عبيد بك وغيرهم من الضباط . ولما وصلوا إلى منزله وجدوه غاصاً بأعضاء مجلس النواب ، وكان بينهم قاضي قضاة مصر الشيخ عبد الرحمن أفندي نافذ والشيخ عبد الهادي الإبياري إمام المعية

الخديوية . وقد تباحث الجميع فى عدد من القضايا وتم الاتفاق على إستتباب الأمن والراحة والسكون ، كما توافقوا على أن يطلب من الخديوى رفض الإنذار البريطانى الفرنسى وإصدار أوامره بعودة الوزراء إلى عملهم وعودة عرابى إلى رئاسة وزارة الحربية . وأثناء ذلك حضر بحديقة المنزل جماعة من الضباط والنبهاء من أعضاء الحزب الوطنى وغيرهم من المنظمات الوطنية الأخرى ، وصاحوا بقولهم : " أعزلوا الخديوى الذي دعا الأجانب للتدخل في أمرنا وتهديدنا بأساطيلهم " . وعلى أثر ذلك خرج عرابى ومن معه من الضباط وتوجهوا إلى منزل محمود باشا سامي فوجدوا لديه عدد كبير من الذوات (علية القوم) فى منزله يتحدثون فى الشأن الداخلى. وهناك قابل عرابى ورفاقه عبد الله باشا فكري الذي كان استاذاً ومُربياً للخديوى في صغره والذى قال لهم وهو يبتسم : - هل قتلتموه ؟! فقال له عرابى : " من تعني؟ " . فقال : " أعني الخديوى .. ألم يقتل ؟ " . فرد عرابى متجهما: " إننا لا نقتل أحداً بغير حكم شرعي ، فلا يليق بك أن تتكلم بهذا الكلام" . ثم تحدث عرابى مع البارودى وعدد من علية القوم ، وبعد ذلك إنصرف عرابى ومن معه وقد توجه كل منهم إلى منزله . وفي صباح يوم السبت ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ زار عرابى فى منزله رئيس مجلس النواب سلطان باشا وحسن باشا الشريعي وسليمان باشا أباظة وسلموه أمر الخديوى القاضي برجوع عرابى إلى وزارة الحربية

والبحرية . وأخبروه بأنهم لما ذهبوا إلى الخديوى وجدوا عنده جميع قناصل الدول الأجنبية في حضرته ما عدا قنصلي فرنسا وإنجلترا ، وأن هؤلاء القناصل طلبوا من الخديوى صدور أمره برجوع عرابى إلى وزارة الحربية والبحرية حتى يطمأن الجميع داخل مصر ، وكان القناصل وأعضاء مجلس النواب على رأي واحد . ولما عاد عرابى إلى وزارة الحربية فرح الضباط والجنود وجميع الوطنيين. ومع ذلك لم تيأس بريطانيا وفرنسا ، فقد توالت اجتماع قنصلي فرنسا وإنجلترا بالخديوى ليلاً ونهاراً فى محاولة لإقصاء عرابى أو لإحداث فتنة من أجل تدخلهم المباشر فى الشأن الداخلى المصرى .

وبالعودة إلى عرابى : نجد أنه بمجرد عودته لإستلام مهام عمله أصدر منشورا إلى قناصل الدول تكفل لهم فيه بإستقرار الأمن والراحة لجميع سكان القُطر المصري وطنيين وأجانب مسلمين وغير مسلمين . وطلب من الخديوى الموافقة على عودة جميع العساكر إلى الجيش الذين تم تسريحهم وذلك لإستكمال الوحدات العسكرية طبقا للحدود المسموح بها فى الفرمانات السُلطانية . ووافق الخديوى على مطلبه ، ثم أصدر عرابى أمره إلى قيادة الجيش بجمع عساكر مكافحة الجريمة نمرة ٢ ونمرة ٣ استعداداً لما عسى أن يطرأ من الحوادث .

تدخل إنجلترا وفرنسا للقضاء على عرابى ورفاقه : فى تلك الفترة أرسلت كل من فرنسا وإنجلترا إلى الباب العالي مذكرة مشتركة تطلبان

فيها أن يؤمر عرابي باشا وسائر زعماء الحزب العسكري أمراً قطعياً بالنفى إلى الآستانة . وطبقا للمؤامرة الفرنسية البريطانية عرضت فرنسا أن يعقد مؤتمر في الآستانة يكون أساس أعماله بحث الوضع المتوتر داخل مصر ، فوافقتها إنجلترا على ذلك . كما طلبت ألمانيا والنمسا وروسيا وأيطاليا من الباب العالي أيضا أن يوافق على لائحة فرنسا وإنجلترا . وحتى يتم تورط الآستانة فى الشأن الداخلى المصرى وتحديدا ضد الحركة الوطنية أبلغت حكومة إنجلترا الباب العالي أن ما تريده هو نشر العلم العثماني في القُطر المصري وإرسال المعتمد السلطاني على مدرعة حربية عثمانية وليست أوربية . ولدعم الخطة البريطانية الفرنسية فى توريط الآستانة أعلن فريسينيه رئيس وزارة فرنسا في مجلس النواب الفرنسي أن لا شيء يدعو إلى تدخُل الجنود الفرنسيين في القُطر المصري لأن اتفاق الدول الأوربية وحده يتكفل بحل المشاكل المصرية على وجه سلمي بدون أن تنشأ المصاعب في مصر ، كما أوضح المستر جلادستون رئيس وزراء إنجلترا في مجلس العموم أن إنجلترا ترى من الواجب عليها دعم ومساندة الخديوي توفيق في منصبه طبقا للإتفاق المبرم بينه والحكومة البريطانية ، ولما أظهره الخديوى من صدق وإخلاص للإنجليز. وهنا كتب عرابى إلى الحضرة السُلطانية يخبرها بما تنوى عليه إنجلترا من تدخل فى الشأن المصرى . ونظرا لأن عرابى لم يكن لديه قنوات إتصال مباشرة مع الآستانة ، لذلك

قرر عرابى ورفاقه اتخاذ رجلهم الوحيد علي راغب قبودان أحد شُباب البحرية المصرية كرسول لهم وكلفوه بإبلاغ عريضتهم إلى الحضرة السُلطانية عن طريق الشيخ محمد ظافر شيخ السادة الشاذلية وشيخ الحضرة السُلطانية ، ووافق الشيخ ظافر على القيام بتلك المهمة. كما إستخدم عرابى قنوات أخرى للإتصال بالآستانة منها أحمد راتب باشا وأحمد أسعد وكيل الفراشة النبوية عن الحضرة السلطانية الذى حضر مؤخرا بصحبة الوفد القادم من الآستانة برئاسة درويش باشا. وعلى ضوء ذلك قررت الآستانة في ٢ يونيو ١٨٨٢ تعيين درويش باشا معتمداً عثمانيا من الآستانة للذهاب إلى القُطر المصري للتحقق من التقارير الأمنية البريطانية.

(٥)
مذبحة الإسكندرية والآثار المترتبة عليها

الإنجليز يوقدون الفتنة : مع تعاظم الحركة الوطنية فى شتى أنحاء البلاد قرر البريطانيون التدخل لإجهاض تلك الحركة والسعي لتشويه صورتها أمام الأوروبيين ليشكلوا بذلك ذريعة لتدخلهم المباشر فى الشأن الداخلي المصرى . وعليه دعا المستر كوكسن قنصل إنجلترا بالإسكندرية جميع قناصل الدول الأجنبية وأخذ يعدد لهم تمرد المصريين على نظام الخديوى القائم ورفضهم وجود الأساطيل الحربية الأوربية في مياه الإسكندرية ،

وشدد على خشيته من هجوم المصريين على المواطنين الأوربيين داخل مصر أو تصفيتهم على غرة ، وأكد لهم أن الوضع الآن يقتضى تـدويل قضية الأمن الداخلي المصرى من اجل أخذ التدابير والوسـائل اللازمـة لحفظ أرواح الأجانب بمصر وتأمين أرواحهم وأموالهم . وتعددت تلـك الإجتماعات وذلك النوع من الخطب ضد المصريين حتى تم التوصل إلى قرار بإجماع قناصل الدول الأجنبية بمصر يفيد بسرعة حشد عدد كبيـر من الأوربيين وتزويدهم بالسلاح وجعلهم فى حالة إستعداد تام تحسـبا لأية هجمات مصرية عليهم . كما طلب القنصل الإنجليزي كوكسن مـن الأوربيين ا[illegible]اجدين بالإسكندرية بضـرورة الإتصـال الـدائم بقـادة الإسطولين البريطانى والفرنسى فى حال طلـب الحمايـة أو الإسـتعلام منهما عن كيفية التسلح لدرء أى خطر قد يحدث من قبـل المصـريين مستقبلا . فى نفس الوقت قام قادة الإسـطولين البريطـانى والفرنسـى بإمداد الجالية الأجنبية بالإسـكندرية بالأسـلحة لمقاومـة المصـريين مستقبلا . ويذكر فى هذا الخصوص أن دار القنصلية البريطانية أصبحت مخزنا للسلاح والذخيرة وقد تم تعيين مجموعة من عسـاكر الإنجليـز لإمداد الأجانب بالسلاح لإستخدامه ضد الشعب المصـرى عنـدما يـتم الإعلان عن ذلك . وعلى الفور إنتشر خبر قيـام القنصـل الإنجليـزى كوكسن بتسليح الأجانب من الأوربيين بالسـلاح والـذخيرة لمحاربـة المصريين . وحدث إجتماع هام بين قنصل السويد والنرويج وعدد مـن

المسئولين المصريين ، وتبين من نتائج ذلك الإجتماع أن قنصل السويد كان مؤيدا للقنصل البريطانى فى تسليح الجالية الأوربية إستعدادا لمواجهة المصريين فى حال وقوعها. فى الوقت نفسه إستمر الأجانب فى إشعال نار الفتنة بين الأوربيين والمصريين داخل البلاد .
إستمرت حالة العداء بين الجالية الأوربية والمصريين بمدينة الإسكندرية حتى اليوم الحادي عشر من شهر يونيو سنة ١٨٨٢ عندما وقعت مذبحة الإسكندرية حيث قام رجلا مالطيا بطعن مصرى بالسكين ، وعلى الفور سار القتال بين المصريين والأوربيين حتى وقع عشرات الأفراد بين قتلى وجرحى. ولما بلغت القاهرة أخبار تلك الواقعة حدث هياج شديد خاصة بين النخبة والوطنيين وسائر التيارات الحزبية والجمعيات السرية المناهضة للتدخل البريطانى والفرنسى فى مصر . وعلى الفور أرسل عرابى وكيل وزارة الحربية يعقوب باشا سامي ومعه لواء المشاة الثانى بقيادة خليل بك كامل وكذلك اللواء الرابع بقيادة عيد بك محمد ومعهما كتيبتان من المدفعية ولواء الخيالة بقيادة أحمد بك عبد الغفار. وتحرك الجميع ليلاً إلى الإسكندرية تحت قيادة طُلبة باشا عصمت ، وطلب عرابى من وكيل وزارة الحربية بإعادة الأمن إلى ما كان عليه وذلك بالتعاون مع محافظ الإسكندرية . وعلى أثر ذلك شكلت لجنة للتحقيق فى هذه الحادثة مكونة من وكيل وزارة الحربية يعقوب باشا سامي وبطرس باشا غالي وياور الجناب الخديوي وياور درويش باشا

ومندوب قناصل الدول الأجنبية ، وجميعهم تحت رئاسة مُحافظ الإسكندرية عمر باشا لطفي . وقد ساهم التحقيق فى عودة الحياة تقريبا إلى طبيعتها ولكن بحذر.

سفر الخديو للاصطياف : في يوم الثلاثاء ١٣ يونيو سنة ١٨٨٢ ترك الخديوى توفيق القاهرة متوجهاً إلى الإسكندرية للاصطياف هناك كالعادة، وكان معه أحمد عرابى الذى ركب على يساره من سراي الإسماعيلية إلى محطة مصر وكان الحديث بينهما دافئا ويشدد بالدرجة الأولى على حب مصر والدفاع عنها . وفي الساعة الثانية بعد الظهر وصل الخديوي إلى الإسكندرية ، وفي المساء زار قناصل الدول الأجنبية ما عدا قنصلي فرنسا وإنجلترا الذين بقيا بالقاهرة خلافاً لسائر القناصل الآخرين، وخلال زيارته للقناصل أبدى الخديوى أسفه الشديد على ما حدث بالإسكندرية ووعدهم بإضفاء الأمن والطمأنينة على سائر البلاد .

مزيد من الدسائس ضد عرابى والوطنيين الأحرار: بعد أن هدأت القلوب واطمأنت بفضل تدخل قوات الجيش وسهرها على إعادة الأمن والراحة في أرجاء الإسكندرية . إلتقى السير أوكلان كولفن المراقب العمومي الإنجليزي بالخديوى توفيق ودار بينهما حديث طويل ، إستطاع كولفن بطريقته الماكرة أن يقنع الخديوى بأن مهمة درويش باشا لم تنجح فى إرساء الأمن بالإسكندرية وأن ما حدث من قلاقل سوف يتكرر ، وأنه يرى لوقف تلك الإضطرابات الداخلية لابد من وجود قوات إنجليزية

لإعادة الراحة والطمأنينة داخل البلاد بدلا من الإعتماد على الجنود العثمانيين . لكن أوكلان كولفن خرج للعلن وأشاع عكس ذلك تماما لمحررى الصحف الأجنبية والمصرية وداخل الأوساط المصرية حيث قال أن القصر يريد إستقدام قوات بريطانية بدلا من العثمانية لفرض الإستقرار داخل البلاد بعد مذبحة الإسكندرية. وقد نجحت تلك الإشاعة البريطانية المغرضة بين الشعب والقصر وأدت إلى إنتشار القلق بين المصريين خاصة بعد أن علموا من بعض قناصل الدول الأوربية الكبرى أن الخطر لازال قائم على الأبواب وهو ما يعنى أن هناك تفاهم كامل بين أوكلان كولفن وقناصل الدول الأجنبية بمصر. وعلى أثر ذلك زاد الخوف وكثر عدد المغادرين والنازحين من مصر وذلك لإعطاء أنطباع أمام الرأى العام الأوربى أن مصر فى خطر. ولما رأى عرابى ورفاقه ذلك الفزع العارم وهجرة العديد من الأجانب قام رجالات الحزب الوطني بتكليف من عرابى في يوم الخميس الموافق ١٥ يونيو سنة ١٨٨٢ بلصق منشورات في شوارع القاهرة والإسكندرية وسائر المحافظات والمديريات تهدف إلى إشاعة الطمأنينة والسكينة والهدوء إلى قلوب المواطنين والأجانب فى مصر. ويذكر أنه بعد مذبحة الإسكندرية بدأت علامات الخلافات تظهر على السطح بين الدول الأوربية التى إنقسمت إلى قسمين ، الأول تتزعمه بريطانيا وفرنسا ، والثانى تتزعمه دول ألمانيا والنمسا وإيطاليا وروسيا التى إنحازت إلى الباب العالي . ثم

خرجت إشاعة إنجليزية مغرضة أخرى تشير إلى وجود بعض الفتور فى العلاقات الإنجليزية الفرنسية من جهة والمانيا والنمسا من جهة أخرى وذلك على أثر تدخل قنصلي ألمانيا والنمسا لمساعدة درويش باشا رئيس الوزراء وسعت الدولتين الأخيرتين لدى الخديوي إلى تأليف وزارة جديدة يكون عرابي باشا من أعضائها ويبقى فيها وزيرا للحربية والبحرية، وقد نصحت ألمانيا والنمسا عن طريق وزيري خارجيتهما الخديوى توفيق بأن إستقرار البلاد لن يتم إلا بوجود عرابى. وفي ١٦ يونيو سنة ١٨٨٢ وافق الخديوى وتم تشكيل الحكومة الجديدة في ٢٠ يونيه ١٨٨٢ التى تشكلت من: إسماعيل راغب باشا " رئيس الوزراء ووزير الخارجية . أحمد رشيد باشا " الداخلية "، عبد الرحمن بك رشيد "المالية" ، أحمد عرابي باشا "الحربية والبحرية" ، علي إبراهيم باشا "الحقانية" ، سليمان أباظة باشا "المعارف" ، محمود الفلكي باشا "الأشغال" ، حسن الشريعي باشا "الأوقاف" .

مؤتمر الدول الأوربية بالآستانة : عقدت الدول الأوربية مؤتمرها بالآستانة في ٢٤ يونيو عام ١٨٨٢ دون أن يكون للدولة العلية معتمد لها فى ذلك المؤتمر . وفي الجلسة الأولى وقع المعتمدون على بروتوكول عدم إحتلال الأراضى المصرية أو الحصول على إمتيازات بأراضيها . ومن القضايا الأخرى التى أثيرت فى ذلك المؤتمر مسألة برزخ السويس وصيانته ومسألة بقاء أو إستبدال الخديوي توفيق بآخر

من الأسرة الحاكمة . كل ذلك والمصريون لا يعلمون شيئا عما يدور من مناقشات بين وزراء أوربا لعدم وجود من يمـــثلهم . ومـــن الشـــائعات المغرضة التى خرجت فى ذلك الوقت ما قيل حول وقـــوع خـــلاف بـــين فرنسا وإنجلترا حول رأس النظام المصرى . وقالت الشائعة أن فرنســـا ترى ضرورة إستبدال الخديوى توفيق بعمه حليم باشا أصغر أبناء محمد على الكبير الأكثر ثقافة ووعيا سياسيا خاصة وأن الحضرة الســـلطانية بالآستانة تفضل حليم باشا الذى كان على علاقة جيدة بها بعكس توفيق الذى إرتبط بإنجلترا وإبتعد كثيرا عن الباب العالى . ولكى تقترب فرنسا من الوطنيين المصريين أشاع رجال الخارجية الفرنسية فـــى مصـــر أن فرنسا والباب العالى من جهة على خلاف مـــع بريطانيـــا التـــى تـــدعم الخديوى توفيق من جهة أخرى . وفي يوم ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٢ ذهب المستر كارتريت البريطانى إلى مكتب رئيس الوزراء المصـــرى راغـــب باشا وبحث معه مسألة تدهور الأوضاع وحشد القوات البريطانية فـــي مياه الإسكندرية ، وطلب من رئيس الوزراء ضـــرورة الإهتمـــام بـــأمن وسلامة المستر كورتس وجماعته من البريطانيين العاملين بشركة المياه وصيانتها بالإسكندرية ، وقال له : " إن لـــم تؤمنـــوا حيـــاة كـــورتس والعاملين معه بحماية من قوات أمن خاصة فســـوف يتركـــون العمـــل ويهاجرون تاركين مدينة الإسكندرية من غير ماء". فأجابه راغب باشا : " نحن لا يستطيع اتخاذ مثل هذه الوسائل الخصوصية لوقايـــة شـــخص

واحد لمجرد أنه بريطانى" . وشدد راغب باشا على أن الحكومة المصرية متعهدة بوقاية جميع الأوربيين على إختلاف جنسياتهم . وخرج كارترايت من مكتب رئيس الوزراء متجها إلى مكتبه فى حالة غضب وهو يهدد ويتوعد . وفي ٢٦ يونيو ١٨٨٢ أرسل كارترايت وكيل قنصل الإسكندرية برقية إلى اللورد جرنفيل مليئة بالأخبار الكاذبة ومجسما حالتي الخوف والإضطراب داخل مصر وطالبه بسرعة التدخل .

(٦)
ضرب الإسكندرية
وبداية الإحتلال الإنجليزى لمصر

في تلك الفترة كانت إنجلترا تبذل كافة جهودها في استمالة الدول الأوربية لموافقتها على طلبها المتعلق بضرب الحركة الوطنية الداخلية المصرية فى محاولة للإنفراد بمصر . وكانت لندن تتأهب للقتال بحشد قواتها البحرية من جنود ومدافع وذخائر وكانت مخابراتها داخل مصر ترصد تحركات القوات المسلحة المصرية وأعمالهم وتسجل أخبارهم ويستطلعون أسرارهم . وكان المستر جورج فيس قنصل انجلترا بالقاهرة شديد الإهتمام بتعداد الجيش جنودا وضباطا وجنسيات الأجانب العاملة داخل الجيش ومدى كفائتهم التدريبية والأسلحة التى فى حوزتهم

ونوعية الذخائر والإحتياطى منها وفرق الإمداد والتموين إلى غير ذلك ، وكان يجمع معلومات عن آخر الحروب التــى خاضـوها فــى أفريقيــا والتوسعات المصرية بتلك المناطق ، إلى آخره. وفى ٢٥ يونيو ١٨٨٢ كتب فيس إلى السير إدوارد مالت القنصل الجنرال البريطانى خطابا أخذ طابع السرية قال فيه : "سيدي : لقد علمت من مصدر أركن إليه وأعول عليه أن الجهادية المصرية قررت أنه إذا نشبت الحرب ووصل الإنجليز إلى أبواب القاهرة فسوف تنقل إذ ذاك عائلات الضباط منهم إلى القلعــة ليتحصنوا فيها ويدافعون عن أنفسهم ، وقد شــرعوا الآن فــي إجــراء التدابير اللازمة لذلك وصرفوا في الأيام الثلاثة الأخيرة معظــم عنــايتهم لهذا الأمر فملأوا الشون والمخازن من الأسلحة والذخيرة ، وأحضــروا كميات وافرة من الدقيق ، وعدداً عظيماً من الثيــران والبقــر والغــنم والخيل ، وفي كل يوم يبتاعون ما يجدون من ماشية وعلف ، ولا يــزال الماء الواصل للقلعة قادم من مستودعات شركة الميــاه بمصــر . كمــا اعتنوا بإصلاح آلات بئر يوسف ، ليجعلوا ماءها احتياطياً فى حال قطــع مياه الشركة عنهم ، وهم من اليوم يشربون منها ، وقد قاموا بتخــزين شئونهم الإدارية وخاصة الغذائية في شونة التعيينات وقد وصل مخزون الخبز فى بولاق نحو ٣٥٠,٠٠٠ أقة من البقســماط ولا تــزال أفــران البقسماط تعمل فى الليل والنهار . وتبين أنه يتم تصنيع خمسة آلاف أقة فى اليوم . وإذا قدرنا نصيب الشخص الواحد في اليوم بنصف أقة مــن

الخبز . فسوف يكون مجموع ما عندهم من البقسماط كافيا لثلاثة عشر ألف جندي في ستين يوماً ... أما تحصينات القلعة فهي عبارة عن ٤٢ مدفعا قديماً من المدافع التي كانت تستعمل في السفن المصرية في عهد محمد علي باشا ، ولهذه المدافع نحو ٢١ ألف عبوة ذخيرة (دانة) ومع ذلك فإن هدم القلعة سهل. وقد لوحظ أنه من جهة جبل المقطم أنشىء مؤخرا بأعلاه من جهة القلعة استحكامات عسكرية قوية وضع فيها ستة مدافع من المدافع السابق ذكرها ومعها نحو ٣ آلاف عبوة ذخيرة (دانة) ... ولديهم أيضاً من المدافع المعروفة بمدافع الجبال عدد ٤٩٧ قطعة مدفع من عيار ٧/٨ سنتيمترات و ٥/٧ سنتيمترات وهى من صنع كروب . : مدافع ١٢٠ مدفعا وضعت في حالة تأهب قصوى للإستعمال الفورى ، ولكن حتى الآن ليس لديهم مما يلزم لهذه المدافع من الخيل والرجال إلا ما يكفي لخمسة وستين أو سبعين مدفعاً فقط ، ومع ذلك لا أظنهم أهلا لإدارة أعمالها إذا داهمهم خصومهم بالمفاجأة إذ ليس عندهم من جنود المدافع المدربين تدريبا عاليا والذين يمكن الإتكال عليهم أكثر من العدد اللازم لإدارة خمسة بطاريات أو ستة فقط ... وعلمت أن لديهم ٥٠٠ عبوة مدفع لكل مدفع من مدافع الجبال ، وأن لهم في العباسية مدفعاً واحداً من طراز كروب مصنوعا من الفولاذ يبلغ محيط دائرته ١٤ بوصة ، ومدفعاً آخر من مدافع أرمسترونج زنته فيما أظن ٢٥ طناً ... أما الأسلحة الصغيرة فلديهم مما يصلح للعمل منها

٣٠٠ ألف بندقية من بنادق ريمنكتون ونحو عشرين ألفا من بنادق إنفيلد ، وعندهم أيضا من الفشنك نحو ٢٠ مليونا لبنادق ريمنكتون و ٧ ملايين لبنادق انفليد ومن الفشنك المُعد لبنادق ريمنكتون ونحو ١٣ مليوناً من صنع معامل هوخام ولودلوف وهي صالحة للاستخدام . أما الباقي وقدره ٧ ملايين فمن صنع المصريين ومعاملهم الوطنية وقد علاه الصدأ حتى أكله أو كاد فهي لذلك غير صالحة للاستعمال ولا فائدة منها" . التوقيع : جورج

الدول الأوربية تقرر تدخل تركيا المباشر فى مصر ولكن الأخيرة ترفض : بعد أن اعترفت الدول الأوربية بضرورة سرعة معالجة التوتر فى المسألة المصرية ، بحث وكلاء الدول الأوربية مسألة تدخل الآستانة فى الشأن المصرى ، وقد تم التوصل إلى ضرورة دعم الخديوى توفيق وذلك بارسال قوة عسكرية عثمانية لإعادة الأمن والنظام إلى البلاد وإنقاذ مصر من الفوضى وإعادة النظر فى تعداد الجيش وتسليحه وتعيين قادة جدد وفقا لإتفاق أوربى عثمانى شريطة ألا يكون التدخل العثمانى سلبيا على النظام المصرى المدني والإداري والقضائي وذلك وفقا للفرمانات الدولية ، إضافة إلى ألا يزيد بقاء تلك القوات العثمانية بمصر عن ثلاثة أشهر إلا إذا طلب الخديوى توفيق مد تلك الفترة بشرط موافقة الدول الأوربية الست (بريطانيا ، فرنسا، المانيا، روسيا ،

النمسا. إيطاليا)والدولة العلية وحكومة مصر على ذلك ، ووافق وكلاء الدول الأوربية الست وتم إعلام دولهم بذلك فى ٦ يوليو ١٨٨٢ .

إنجلترا تختلق أسباباً للتدخل : على الرغم من موافقة الدول الأوربية على ذلك إلا أن الباب العالي أعلن رفضه شارحا أن ذلك مخالفا للحقوق الدولية . وعليه إتخذت إنجلترا الرفض العثمانى حجة وذريعة للتدخل بالقوة ، ومن ثم أوعزت المخابرات البريطانية سراً إلى عملائها داخل مصر بخلق إضطرابات وأعمال إرهابية لتكون سببا مباشرا للتدخل البريطانى . فى الوقت نفسه زعم الأدميرال سيمور أن الجيش المصرى قام بتحصين قلاعه بمدينة الإسكندرية ، وقال أن ذلك التحصين خصص لضرب الإسطول البريطانى . فى الوقت نفسه جاء تلغراف من الصدر الأعظم إلى الخديوى توفيق يشير فيه إلى الآتى: " أن باشكاتب السفارة الإنجليزية حضر إلى الباب العالي، وأخبرهم أن الجيش المصري آخذ فى تهديد الأساطيل الإنجليزية والفرنسية وغيرها في مياه الإسكندرية ، كما يقوم ببناء الحصون والقلاع .. وإن لم يكف الجيش عن تقوية إستحكاماته والتوقف عن تعزيز حصونه فى أسرع وقت ممكن ، فسوف يضطر الأدميرال سيمور إلى إطلاق مدافعه على الإسكندرية فيدكها دكاً ويهدمها عن آخرها ". بعد إطلاع الخديوى توفيق على ذلك التلغراف التهديدى من قبل الإنجليز ، قام بإرساله على الفور إلى عرابى للإطلاع عليه وإتخاذ ما يلزم بشأنه . وبعد إطلاع عرابى ورفاقه على التلغراف

، قام بارسال الرد التالى إلى الخديوى توفيق فكتب يقــول : "إن مصـــر دولة مسالمة ولم تعتد على أراض الإنجليز ولم تهدد أساطيلها الحربية، بل أن بريطانيا هي التي تهددنا بمراكبها الحربية .. وكل ما في الأمر أن الجاري حاليا في الاستحكامات إنما هو ترميم المتهـدم منهـا ، وهـــى ترميمات عادية تجرى كل عام تحت بند صـيانة الثكنـــات ، وإذا كانـــت القوات البحرية الإنجليزية متخوفة من استحكاماتنا ولم ترد شـــراً بنـــا فلتقلع من ميناءنا ومياهنا الإقليمية وتعود إلى بلادهـــا بســـلام ، وأنـــي ليدهشني إحجام الباب العالي عن إجابة السفارة الإنجليزية بذلك " .

إتفاق الإنجليز مع الخديوى : ولما شـــاع خبـــر توقـــع ضـــرب مدينـــة الإسكندرية أيقن الناس بقرب وقوع القتال ، وطالب كـــل مـــن قنصـــلي فرنسا وإنجلترا من رعايا دولته ترك مصـــر فـــورا . وعليـــه تســـابق الأوربيون إلى الرحيل ، ولم يبق في المدينة منهم إلا القليل ، حتـــى أن الخديوى استدعى المستر كولفن مراقب المالية الإنجليزي ، وأتفق معـــه على ترك سراي رأس التين والتوجه بعائلته إلى سراي الرمل في يـــوم ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ لأن ضرب الإسكندرية ربما يكون في صباح يوم ١١ منه ، وهو ما حدث بالفعل . وفي صباح يـــوم ١٠ يوليـــو ســـنة ١٨٨٢ انعقد مجلس فوق العادة من وزراء الحكومة وغيرهم من علية القوم وكبار المسئولين برئاسة توفيق باشا وبحضور المندوب السُلطاني درويش باشا وقدري بك سكرتيره وأحمد أسعد وكيل الفراشـــة النبويـــة

عن الحضرة السلطانية . وبعد أن قرأ الخديوى علــى الجميــع رســالة التحذير التى أرسلها الأدميــرال ســيمور إلــى طلبــة باشــا قومنــدان الإسكندرية ، قرر المجلس المذكور بأنه لا يمكن إجابة طلب الأدميــرال سيمور لأن ذلك يتعارض تماما مع كرامة المصــريين . لكــن حتــى لا تتدهور الأوضاع من جراء الحرب رأى أعضاء المجلس إرسال وفد عال المستوى لبحث الموقف مع قائد البحرية البريطانى . وتكون الوفد مــن عبد الرحمن بك رشدي ناظر المالية وقاسم باشا وكيل البحرية الســابق ومحمد كامل باشا وكيل البحرية حينذاك وتكران بك باشــكاتب مجلــس الوزراء ، وطلب من الوفد أن يوضح له أن المصــريين ليســوا أعــداء للإنجليز ، وأن الجيش لا يفكر فى سد بوغاز الميناء بالأحجار كما قيل، ولم يفكر فى إحتجاز السفن التجارية البريطانية داخل ميناء الإسكندرية ، وأنه فى الوقت نفسه لا يمكن قبول إنزال المدافع من الحصون والقــلاع لما فيه من مخالفة لقوانين البحرية ولما يتبع ذلك من إهانة للمصريين ، وإنما يمكن إجابة لطلبه وفضاً للإشكال تنزيل ثلاثة مــدافع مــن ثــلاث طوابي إحداها طابية المكس والثانية طابية صالح والثالثة طابيــة بــرج السلسلة ، وأن يكتفي بذلك رداً لشرف البحريــة البريطانيــة . وذهــب الوفد إلى سيمور وأبلغه بذلك، ثم عاد وأخبر الخديوى توفيق ومن معــه من أعضاء المجلس بأن الأدميرال سيمور لم يقبل بما عرض عليــه ، وصمم على وجوب إنزال جميع المدافع كما طلب فى إنذاره . بل وطلــب

من الحكومة المصرية أمرا صريحا بإعطائه طابية المكس وما وراءها من الأراضي . وطابية العجمي وطابية باب العرب لاتخاذهم معسكرا للعساكر الإنجليز، وحذر سيمور بأنه إذا لم تستجب الحكومة المصرية إلى طلباته المذكورة فسوف يبدأ بتدمير المدينة عند طلوع شمس صباح يوم غد الموافق ١١ يوليو ١٨٨٢. ونظرا لأن طلبات سيمور غير قانونية ولا يمكن قبولها بوجه من الوجوه خصوصاً وأن الفرمان السلطاني يمنع الخديوى من التصرف في إعطاء قيد شبر من الأراضي المصرية وملحقاتها إلى أى دولة أجنبية . لذلك تقرر رفض طلبات الأدميرال ، وهو ما أعلنته حكومة الباب العالي حيث أنها صاحبة الولاية على البلاد المصرية . وبعد أن رفض المجلس مطالب سيمور انتقل الخديوى توفيق ودرويش باشا ومن معهما من رأس التين إلى سراي الرمل في ظهر ذلك اليوم المذكور عملاً برأي المستر كارترايت .

بعد توقيع الباب العالى على قرار دخول الحرب ضد بريطانيا صدرت أوامر قيادة الجيش إلى رؤساء الاستحكامات وقادة الألوية وباقى فروع الوحدات العسكرية بسرعة الاستعداد للحرب والدفاع عن البلاد ، وسهر الجيش طول الليل في ترتيب ما يلزم إجراؤه للقتال.

ضرب الإسكندرية : وفى صباح الثلاثاء الموافق ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ قامت المدافع الإنجليزية بضرب القلاع والحصون والترسانة البحرية وسراى رأس التين ، ثم زحفت دانات المدافع الإنجليزية إلى جميع

أرجاء المدينةَ فضربتها بكل الغل والحقد وما لديها من قوةَ غير إنسانية وسط صرخات وإستنجاد الأطفال والشيوخ والنساء تحت الأنقاد وفوقها ، ومع ذلك ظلت مدافع الإنجليز تدمر كل أخضر ويابس بالمدينة الأثرية العريقة الضارب جذورها فى عمق التاريخ القديم . ولم تجاوبها مدافع القلاع والتحصينات بالإسكندرية إلا بعد أن أطلق الأسطول البريطانى نحو ٢٠ طلقة من مدافعة الحديثة الرهيبة . واستمر القتال بين الأساطيل الإنجليزية وقلاع وحصون الإسكندرية بعد ذلك حتى منتصف النهار ، ثم أخذت نيران الاستحكامات المصرية في التناقص التدريجى حتى تم تدميرها قبيل غروب الشمس . كانت استحكامات الإسكندرية قديمة وجميعها مبني بالأحجار منذ نحو ٧٠ سنة ، وقد باغت الإنجليز بالعدوان فى حين لم يكن المصريين مستعدين لذلك ، وكان تأثير شظايا الأحجار المتناثرة وضررها أكثر من تأثير مقذوفات العدو نفسه على الشعب السكندرى .

وفيما يتعلق بحصر القتلى والجرحى ، فقد إستشهد في نهاية اليوم الأول للقتال من جميع القلاع والحصون نحو مائه رجل وامرأتان من المتطوعات اللواتي كن يضمدن جراح الجرحى . وفى مساء نفس اليوم توجه أحمد عرابى مع عدد من الوزراء إلى سراي الرمل ، وقام عرابى يعرض الموقف على الخديوى توفيق ودرويش باشا ورئيس مجلس النواب سلطان باشا ، وبعد مناقشة مطولة فى هذا الشان قرر الخديوى

ودرويش باشا أنه فى حال عودة الإسطول الإنجليزي الى ضرب الإسكندرية في صباح ١٢ يوليو ١٨٨٢ فلا تجاوبها القلاع والحصون المصرية بل ترفع الراية البيضاء علامة للتفاوض مع الأدميرال سيمور بشأن وقف القتال واللجوء للمفاوضات خاصة بعد أن حقق سيمور هدفه فى تدمير تلك القلاع والحصون . بعد ذلك توجه عرابى ومعه راغب باشا رئيس الوزراء إلى بيته الكائن بترعة المحمودية وأرسل عرابى أوامره إلى رؤساء القلاع والحصون الخاصة برفع الراية البيضاء لوقف القتال.

سيمور يرفض الهدنة : وفي صباح ١٢ يوليو ١٨٨٢ أطلقت البوارج الإنجليزية مدافعها على القلاع والحصون المصرية فرفعت جميعها الراية البيضاء علامة التفاوض. وتقرر إرسال طلبه باشا عصمت إلى الأدميرال سيمور لإبلاغه بوقف القتال والإكتفاء بما حدث من تدمير للقلاع والحصون . وبعد لقائه بمندوب الأدميرال في الترسانة البحرية وإخباره بما طلب منه ذكره ، توجه مندوب سيمور الذى كان يركب رفاصا بحريا صغيرا إلى الأدميرال وأخبره بما سمعه من طلبه باشا . لكن سيمور لم يقبل ، بل ولم يرجع المندوب ثانية بالرد إلا بعد العشاء (أى بعد ١٢ ساعة) ، وعليه ذهب طلبه باشا إلى الخديوى وكان معه عرابى وعدد من الوزراء وأخبرهم برفض سيمور لوقف إطلاق النار.

الخديو يلجأ للإنجليز : وفي صباح ١٣ يوليو سنة ١٨٨٢ توجه عرابى ومعه عدد كبير من العساكر إلى عزبة خورشيد . ثم إلى كفر الدوار التى اتخذها مركزاً حربياً . وفى الحال قام عرابى ومن تبقى من جيشه في إنشاء استحكامات خفيفة وتحصين التلال القديمة . وإنتهى من تجهيز الخط الأول من الاستحكامات عند عزبة خورشيد خلف الملاحة . وفى ٢٦ يوليو ١٨٨٢ لقى الإنجليز أول هزيمة لهم فى أبى قير ، وقد إستمر القتال نحو ثلاث ساعات ونصف أبلى خلالها الجيش المصرى بلاء حسناً ولم تعرف خسائر العدو لرفعها من الميدان أولا بأول . وفى ٢٧ يوليو ١٨٨٢ تم هزيمة القوات البريطانية فى معركة عزبة خورشيد . ويذكر أن القتال إستمر نحو إحدى عشر ساعة ونصف ، وقد بلغت خسائر المصريين إستشهاد ٢٩ جندياً وصف ضباط واستشهد الملازم أحمد أفندي علي ، أما خسائر العدو البريطانى فقد قتل وترك بميدان القتال ١٧ جثة منها الملازم ديز وقد تم دفنه في جسر المحمودية ، وقد شوهد الكثير من عساكر الإنجليز يحملون قتلاهم وجرحاهم ، وفي اليوم الثاني كانت ساحة القتال مشوهة بالدماء وآثار جر الموتى . وفيما يتعلق بأوضاع مصر الإقتصادية خلال فترة الحرب : فيذكر أنه عندما قامت القوات البريطانية بتدمير مدينة الإسكندرية بمدافعها البحرية لم يكن في خزانة الحكومة درهم واحد لأن المراقب الإنجليزي المستر (كولفن) أخذ الأموال من خزينة المالية ووضعها بإحدى السفن الحربية

بالإسطول البريطانى القابع بالمياه الإقليمية المصرية . أما الأموال الموجودة في صندوق الدين العمومي فقد حملها أعضاء قومسيون الصندوق إلى المراكب الحربية البريطانية .

وبالعودة إلى أحداث الحرب . فيذكر أنه في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد تلغراف من رأس التين من قبل الخديوى توفيق الذى كان برفقته الأدميرال سيمور إلي وزير الحربية عرابى الموجود بكفر الدوار ، وفيه أخبر عرابى بأنه المسئول عن ذلك الخراب وتلك الهزيمة ، وأن سيمور لم يعد يعترف بوزير الحربية عرابى وأنه سوف يسلم مدينة الإسكندرية للخديوى. ولكن عرابى رفض ذلك بشدة وكتب للخديوى يؤكد له أن جنابه وافق من البداية على الدخول فى الحرب ضد القوات البريطانية وأنه مسئول أيضا عما حدث. كما أرسل عرابى رسالة أخرى إلى وكيل الجهادية يعقوب سامي باشا في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ . وطلب فيها سرعة عقد مجلس من الذوات والعلماء والنواب والأعيان ليطرح فيه ما طرأ مؤخرا بالبلاد والبت فيه ، والعمل على وضع خطة تقرر فيها صالح البلاد، ويحدد فيها أيضا موقف الخديوى من تحيزه إلى العدو البريطانى الذى دمر بلادنا .

اجتماع الداخلية : بناء على الرسالة التي أرسلها عرابى إلى وكيل وزارة الحربية يعقوب باشا سامي ، قام الأخير بدعوة عدد كبير من الذوات والأعيان والساسة ، وكان عدد الذين لبوا الدعوة نحو ٧٠

شخصاً وعقد الاجتماع بديوان وزارة الداخلية . وبعد مناقشة مـــا ورد برسالة عرابى وتطور الأحداث قرر الحاضرون وجوب الاســتمرار فــي إعداد التجهيزات الحربية واستدعاء وزراء الحكومة من الإسـكندرية . وعلى أثر ذلك جاء رد الخديوى توفيق بعزل عرابى من وزارة الحربية ، وقد أرفق مع هذا الأمر الخديوى أمر آخر تم تعليقه فى شوارع مدينــة الإسكندرية وكتب فيه الأسباب التي دعت الخــديوى إلــى عــزل أحمــد عرابى . وقد أرسلت تلك المنشورات إلى رؤســاء المراكــز العســكرية وعُمد البلاد ومشايخ العربان .

المؤتمر يعزل الخديو : انعقد المؤتمر العام في ديوان وزارة الداخلية في ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٢ الموافق ٦ رمضان سنة ١٢٩٩ ، وبعد الإطلاع على الأوراق الخاصة بذلك ومناقشة ما فيها صدرت فتوى شرعية مــن شيخ الإسلام والمسلمين محمد عليش والشيخ حسن العــدوي والشــيخ الخلفاوي وغيرهم من العلماء بأن الخديوى توفيق باشا أصبح مارقا من الدين مروق السهم من الرمية لخيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده ، وبناء عليه صدر قرار المجلس بما يأتي : وجــوب توقيــف أوامــر الخديوى وما يصدر من وزراءه الموجودين معه في الإسكندرية كيفمــا كانت ولأي جهة من الجهات وعدم تنفيذها حيث أن الخديوى خرج عــن قواعد الشرع الشريف والقانون المنيف ويلزم عرض قرارنا هذا علــى الأعتاب الشاهانية بواسطة وكلاء النظارات . وبعد التوقيع علــى هــذا

القرار ، تم عرض مضمونه بواسطة التلغراف على الحضرة السلطانية بالآستانة ، وعلم بوصوله إلى الآستانة رسمياً . وهكذا تم إلزام عرابى بالدفاع عن مصر وإعطائه لقب (حامي البلاد المصرية) .

وفي ٢٣ رمضان سنة ١٢٩٩ الموافق ٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ صدر منشور من الخديوى توفيق إلى جميع المصريين جاء فيه: " نحن خديوى مصر نعلن لجميع المصريين أن عرابي باشا قد ارتكب آثاماً فظيعة جلبت خسائر لا وصف لها على مصر وأهلها وجعلت الدول الأوربية ناقمة عليها... فقد أعلن عرابى جهراً عصيانه لأوامرنا معللا ذلك بأكاذيب واهية.. ولذلك يعتبر عرابى عاصياً ومستحقاً لأشد أنواع العقوبات بمقتضى الشرع الشريف ، بالرغم من أوامرنا السابقة بوقف وعزل عرابى إلا أننا أصدرنا هذا المنشور لنؤكد فيه أن كل شخص على علاقة بعرابى أو حتى يعمل على نشر فكره فسوف يصبح عاصياً مثله ويستحق أقصى أنواع العقاب . وعليه فسوف نجرد هؤلاء من ولده وذويه ومن جميع الرتب العسكرية وأيضا تجريده من الرواتب وتعيينات التقاعد والمعاش وسائر الامتيازات التي كان يتمتع بها. وليعلم المصريون أننا نحن أميرهم ومولاهم ، وعليهم ألا يرتكبوا عصياناً علينا ، وليعلم كل منهم أيضاً عدم دفع أموال الضرائب لعرابى أو لأتباعه ، واذا حصل على أموال فسوف نطالبه بها يوم تنقشع عن سماء مصر غيوم النكبات العرابية" . وفي ٢٨ رمضان سنة ١٢٩٩

الموافق ١٣ أغسطس سنة ١٨٨٢ أصدر عرابى منشورا إلى قادة الجيش في المراكز الحربية وإلى رؤساء المديريات وجميع فروع الحكومة حثهم فيه على مواصلة القتال ضد العدو البريطانى .

احتلال الإنجليز لقناة السويس: في ١٤ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد إلى عرابى تلغراف من المسيو فكتور دي لسبس مدير شركة القنال يستعلم عن رأي عرابى في القنال بالنسبة للتحركات الحربية بمياهها . فأجابه عرابى فى نفس اليوم تلغرافيا أن مصر تعتبر القنال من المنافع العامة الدولية ، ولذلك فإن الجيش المصرى لن يعترض على إدارة القنال طالما تنفذ المواثيق الدولية المتمثلة فى منع السفن الحربية الإنجليزية من المرور فى القنال نظرا لأن بريطانيا فى حالة حرب مع مصر وهو ما تؤكده الإتفاقيات الدولية السابقة الخاصة بحرية المرور فى القنال . وعندما وصل الرد إلى فكتور دى لسيبس قام على الفور بالرد على عرابى وأكد فى رده على أنه ضامن ومتكفل بمنع الإنجليز من المرور فى القنال ما دام فيه عرق ينبض . وهنا إعتقد أحمد عرابى ورفاقه أن فرنسا سوف تكون صادقة معه وستطبق تلك الإتفاقيات الدولية التى وقعت عليها وتحافظ على حُرية الملاحة فى القنال وتمنع السفن الحربية البريطانية. ولكن لما أخذ الإنجليز ينزلون على أراضى السويس احتج المسيو دى لسبس على ذلك ، فأصدر الخديوى توفيق أمراً يسمح بموجبه مرور السفن الحربية البريطانية بالقناة دون إعتراض من أحد

لأن الإسطول الحربى البريطانى جاء إلى مصر بأمر من الخديوى لإعادة الأمن والنظام وفرض الأمن في جميع النقط التي يرى قائد الإسطول أنها تستحق الردع بقصد قمع العصاة من الوطنيين المصريين . وقد توعد الخديوى كل من يخالف أمره بالقصاص الصارم . وهكذا إحتل الإنجليز قناة السويس بدعم من الخديوى توفيق . وفي ٢٣ أغسطس ١٨٨٢ سلك الإنجليز طريق القاهرة سائرين على خط ترعة القنال (الحلوة) وخط السكك الحديدية . وفي ٢٤ أغسطس ١٨٨٢ عاد سير الأحوال في مياه القنال إلى عهده السابق . وفي الختام... لم يلحق بأحد من رجال الشركة سوء أو أذى طوال فترة هذه الحرب وهو ما يضع العديد من علامات الإستفهام حول الموقف الفرنسى . كان عرابي يدرك أن ديليسبس يخادعه ..ولكنه لم يكن يتصور أن إنجلترا في زحفها الاستعماري نحو القنال ستدوس على المعاهدات والمواثيق والأعراف الدولية إلى مثل هذا الحد . وقد يعتقد البعض أن عرابي كان صاحب نظرة متحضرة في رفضه القيام بسد القنال .. ولكنه بإحجامه عن سدها سهل على الإنجليز احتلال البلاد ومهد للجنرال ولسلي نصراً من أسهل ما عرف تاريخ الحروب. والحق يقال أن إحتلال القنال بهذه السهولة جعل معظم المؤرخين يشوهون صورة عرابي كبطل قومى وطنى ، فقد قال الكثير منهم أنه كان رجلا درويشا ومجذوبا يستعين بحلقات الذكر في أحلك لحظات المعركة .. وهذه فرية روجها الاحتلال وأعوانه

للتهوين من شأن الحركة الوطنية العرابية بأسرها . لقـد كانـت بحـق حركة وطنية ناضجة متفتحة لها كل مقوماتها العصرية . يقول نينيه أحد المؤرخين للثورة العرابية وهو سويسرى الأصل وكان يعيش فى مصـر: " كنت بجانب عرابي لما أوشك الإنجليز أن يطبقـوا عليـه فـي التـل الكبير .. لقد كان ثابت الجنان لم تخنه شجاعته وكان يدرك مـدى مـا تعرض له جيشه من خيانات متتابعة آخرها مفاجأة الإنجليز له وهو في معسكره وحيداً عند بزوغ الفجر.. واستعد الرجل للموت والاستشهاد " .

(٧)
مهزلة محاكمة عرابى ونفيه
إلى خارج البلاد

فى النهاية وقعت هزيمة الجيش المصرى نتيجة إهمال الميدان الشـرقى وإنضمام الخديوى إلى بريطانيا ضد عرابى ورفاقه ، إضافة إلى الخيانة العظمى للجيش المصرى من قبل بعض ضباط الجيش ، وبعض رفقـاء عرابى وعلى رأسهم محمد سلطان باشا رئيس البرلمان وغيره . وفـي يوم الخميس ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ بلغ الجنود الإنجليز العباسية في نحـو الساعة الرابعة مساء ... وتلقى عرابي نبأ ذلك في السـاعة السادسـة وكان في بيت على باشا فهمي الذى لم يبرئ بعد من جرحه خلال الحرب

، فأرسل عرابي أحد رجاله إلى قائد ثكنات العباسية يــأمره بالتســليم ، وذلك بعد نصح جون نينيه الذى كان معهم في منزل على باشــا فهمــي وقال لكل من عرابي وطلبة عصمت ومحمود ســامي علــيكم بســرعة تسليم أنفسهم كأسرى حرب للجيش البريطاني خوفاً مما قد يحــل بكــم على يد الخديوى توفيق إذا قمتم بتسليم أنفسكم له . واستصوب عرابــي وطلبة رأى نينيه، لكن البارودي رفض ذلك وقائل لهم : "إني ذاهب إلــى منزلي ... فإن أرادوني فإنهم يعرفون أين يجدونني" . وذهب عرابي إلى منزله ولبس رداءه العسكري وتقلد سيفه وتأهب ومعه طلبــة عصــمت لتسليم أنفسهما للجيش البريطانى ، وقال عرابــى وهــو يصــف ذلــك الموقف الشديد الألم : " وفي عصر يوم الجمعة ٢ من شهر ذى القعــدة سنة ١٢٩٩ ، الموافق ١٥ ســبتمبر ســنة ١٨٨٢ ورد تلغــراف مــن الجنرال " لو " قائد الخيالة الإنجليزى بالعباسية إلى إبراهيم بك فــوزي مأمور ضبطية القاهرة قال فيه أنه يريد مقابلتي بالعباسية وكذلك مقابلة طلبة عصمت باشا ... فتوجهنا إلى العباسية واجتمعنا بالجنرال " لــو " الذى سألنا هل تقبلون أن تكونوا أسرى حرب لجلاله الملكة ؟ فقلنا لــه نعم نريد ذلك حقناً للدماء ، ورضينا بأن نسلم سيوفنا إلى قائد الجــيش الإنجليزي واثقين بعدالة الأمة الإنجليزية أن تعاملنا كأســرى حــرب " . وأضاف عرابى فى مذكراته: " وبالفعل سلمنا سيوفنا وقضينا تلك الليلــة داخل غرفة من غرف قشلاق المدفعية بلا فــراش ولا غطــاء ، وكــان

الجنرال في غرفة أخرى مثلها". ونذكر هنا أن القانون العسكري يقضي بأن يسلم القائد المغلوب سيفه ، وهو ما حدث مع عرابى . وماذا كان في وسع عرابي غير هذا ، فلم يكن أمامه إلا الهرب إلى بلد آخر أو الإستسلام للجيش المنتصر . فإذا هرب ثم قبض عليه وجئ به إلى مصر أو لم يقبض عليه وظل طريداً شريداً أكان ذلك يعجب خصومه ؟ . لكن الذين كتبوا سيرة عرابي من أعدائه عقب الاحتلال مباشرة أساءوا كثيرا إلى شخص عرابى ومسيرته النضالية . لقد حاول هؤلاء بالتعاون مع الإنجليز تشويه كل شيء حول عرابى حتى تثبت في أذهان الجيل القادم الصورة التي وضعها الاحتلال لشخص عرابي ورفاقه ، وهى أن عرابى كان رجلاً جاهلاً طائشاً ولم يحارب من أجل الحرية والدستور، وإنما كانت تحركه أطماعه الشخصية التى أدت به فى النهاية إلى تلك الهزيمة النكراء ثم تسليم نفسه وسيفه صاغراً إلى قائد جيش الاحتلال الإنجليزي . كان الهدف من وراء ذلك التشويه المتعمد هو القضاء عليه حتى لا يكتب فى سجل التاريخ عن أول مصرى نادى بالحرية والدستور وأول زعيم وطني وضع جهاد وطنه على أساس قومي .

وفي نفس هذا اليوم الجمعة ١٥ سبتمبر دخل الجنرال ولسلي القاهرة وكان يصحبه محمد سلطان باشا نائباً عن الخديوى توفيق، ونزل ولسلي في سراي عابدين التى أعدت له بأمر الخديوى. وكان الإنجليز قد استولوا على القلعة من طريق الجبل في اليوم الذي بلغوا فيه القاهرة

وقد سلمهم مفاتيحها على خنفس منتظراً ما وعد به من الـذهب قبـل معركة التل الكبير ، ولكن الإنجليز لم يعطوه شيئا . كما احتل الإنجليـز قصر النيل وكذلك العباسية . وهكذا إحتلت القاهرة من أطرافها ، وصح حلم الإنجليز الذي ساورهم منذ عهد محمد على . وفي عصر يوم السبت ترك عرابى ومن معه العباسية إلى قشلاق عابدين الذى إحتلته القـوات البريطانية ، وقال العميد البريطانى " تين " لعرابى ورفيقه: "أنتما أسيرا حرب عند جلاله ملكة الإنجليز فلا بأس عليكما " .

وقد تجسدت الهزيمة المصرية فى أسوأ معانيها عندما دخـل الخـديوى توفيق إلى القاهرة في حماية جيش الاحتلال البريطانى .. وذهب عرابي وزعماء الثورة إلى المحاكمة . يذكر فى هذا الخصوص أنه تم إعتقـال زعماء الثورة العرابية ، واعتقل معهم أيضـاً كثيـرون مـن الضـباط والأعيان وألقوا جميعا في السجون رهن التحقيق والمحاكمة ، وكثـرت الوشايات ، فأخذ المغرضون يشوهون خصومهم بتهمة الخـروج عـن النظام ومحاولة الإنقلاب عليه ، وظل الأمر كذلك حتى امتلأت السـجون بالمتهمين ، وبلغ عددهم أكثر من ٢٩ ألف شخص ، ووضعت الحكومة يدها على جميع زعماء الثورة ، ما عدا عبد الله النديم الذى اختفى عن الأنظار ولم تستطع عيون الحكومة أن تعرف مقره ، وغصت السـجون بكبار المعتقلين .. ومنهم : عرابي باشا ومحمـود سـامي البـارودي ومحمود فهمي باشا ويعقوب سامي باشا وعبد العالي حلمي باشا وعلي

فهمي باشا وطلبة باشا عصمت (الزعماء السبعة) وحسن باشا الشريعي وزير الأوقاف في وزارتي راغب والبارودي ، وعبــد الله باشـــا فكــري وزير المعارف في وزارة البارودي إلخ ، وقد حوكم عرابي ورفاقه أمام محكمة عسكرية مصرية بتهمة عصيان الخديوى . وهنا علينا أن نوضح أمرا فى غاية الأهمية وهو أن ولفرد بلنت المستشرق الإنجليزى قد إهتم إهتماما بالغا بأمر عرابى ورفاقه منذ أن ألقى القبض عليه ، بل ومنــذ بداية الحركة العرابية وظل يناصره حتى قيل عن بلنــت أنــه الأجنبــى المناصر لمصر والمصريين . فقد سعى بلنت كل جهده كى ينقذ عرابي من الإعدام ، وإستطاع بلنت بعد أن توصل إلى اتفــاق مــع الســلطات الإنجليزية إلى التعاقد مع اثنين من كبار المحامين الإنجليز وهما المستر برودلي والمستر نابيه كى يقوما بالدفاع عن عرابــى أمــام المحكمــة العسكرية . وبعد مفاوضات طويلة مع الإنجليز وتشدد الخــديوى ومــن معه تم التوصل إلى الإتفاق التالى : أن يتقــدم عرابــي ورفاقــه أمــام المحكمة العسكرية بتهمة عصيان الخديوى علــى أن يعتــرف عرابــى ورفاقه بتلك التهمة أمام القاضى ، وفى المقابــل يــتم إســتبعاد الــتهم الموجهة له ورفاقه ومنهما تهمة مذبحة الإسكندرية وتهمــة إحراقهــا، إضافة إلى قيام الخديوى بإستبدال حكم الإعدام الموجــه إليــه بــالنفي المؤبد ، وأن يصدر بعد ذلك مرسوم بمصادرة أملاك عرابى ورفاقه مــع عدم المساس بأملاك زوجاتهم وأن تقرر الحكومة لكل منهم معاشاً يفــي

بحاجتهم مع حرمانهم رتبهم وألقابهم . فى النهاية وافق عرابى ورفاقه على ذلك . وعليه أجريت المحاكمة ، وكانت بعد الاتفاق المتقدم ذكره محاكمة صورية عرفت نتائجها قبل انعقادها . ولم تدم سوى يوم واحد .. ويذكر أن المحكمة العسكرية إتعقدت برئاسة محمد رؤوف باشا يوم ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٢ بوزارة الأشغال بقاعة مجلس النواب – مجلس الشيوخ الآن – الساعة التاسعة والنصف صباحاً لمحاكمة عرابي أولاً ، ولم يكن الجمهور يعلم بالموعد المحددة لانعقادها، فلم يحضر الجلسة سوى أربعين رجلا فقط ، منهم عشرون من مراسلي الصحف ، وكان مقرراً أن يتولى الاتهام أمام المحكمة العسكرية المسيو بوريللي رئيس قلم قضايا الحكومة . ولكنه تنحى عن الجلوس في مركز المدعي العمومي عندما إكتشف أن المحاكمة ما هى إلا مهزلة متفق عليها من قبل . وجلس بدلا منه قومندان الحامية الإنجليزية في التحقيق وكان مجلسه قريباً من المكان الذي أعد لعرابي . ويذكر أنه بعد أن أخذ أعضاء المحكمة مجالسهم مرتدين ملابسهم الرسمية جيء بعرابي من السجن ، وكان قبل مجيئه قد وقع على وثيقتين .. الأولى يعترف فيها بارتكابه جريمة العصيان ، ويتعهد في الثانية بأن لا يبرح الجهة التي تعينها الحكومة الإنجليزية لمنفاه . دخل عرابي قاعة الجلسة مرتدياً بدلة عادية ، وجلس في المقعد الذي خُصص له ، وجلس محامياه إلى جواره .. فتلا عليه رؤوف باشا رئيس المحكمة ورقة الاتهام مخاطباً

إياه بما يأتي : " أحمد عرابي باشا .. أنت متهم أمام هذه المحكمة بناء على طلب لجنة التحقيق بجريمة العصيان ضد الجناب الخديوي مخالفاً المادتين ٩٦ من القانون العسكري العثماني و ٥٩ من قانون الجنايات العثماني فهل تقر بالتهمة أم لا ؟ ، فأجاب عرابي : " إن محاميي سيجيبان بالنيابة عني " . وقرأ المستر برودلي بالفرنسية ورقة أمضاها عرابي وفيها يعترف بجريمة العصيان ، ثم تلا كاتب الجلسة صيغتها باللغة العربية . وعندئذ قرر رؤوف باشا بأن المحكمة ستخلي للمداولة، وأن الجلسة أوقفت على أن تنعقد في الساعة الثالثة بعد الظهر . وانعقدت المحكمة في الموعد المذكور ، وكان عدد الحاضرين في هذه المرة كبيراً .. فلما فتحت الجلسة أمر رؤوف باشا كاتب الجلسة بتلاوة الحكم ، فتلاه الكاتب .. وكان الحكم يقضي على عرابي بالإعدام . ثم تلا عقب صدور الحكم الأمر الخديوي الخاص بإستبدال حكم الإعدام بالنفي المؤبد . واستغرقت تلاوة الحكم وأمر الخديوى بتعديله عشر دقائق فقط ، ثم انفضت الجلسة .

وفي ٧ ديسمبر اجتمعت المحكمة لمحاكمة كل من : طلبة باشا عصمت ، وعبد العال باشا حلمي ، ومحمود سامي باشا البارودي ، وعلي فهمي باشا الديب فحكمت عليهم بالإعدام ، وتلا رئيس المحكمة أمر الخديوى بتعديله إلى النفي المؤبد أيضاً ، وفي ١٠ ديسمبر حوكم محمود باشا فهمي ويعقوب سامي باشا بنفس الحكم أيضاً وهو الإعدام ، ثم عدل

الحكم إلى النفي المؤبد . ولكن يذكر هنا أن علي باشا الروبي رفض أن يدافع عنه المستر برودلي . كما رفض الإقرار الذي كتبه عرابي ، لذلك فلم يحاكم معهم .. وصدر الأمر بنفيه عشرين سنة في مصوع .

وأصدر الخديو أمراً في ١٤ ديسمبر بمصادرة أملاك وأموال الزعماء السبعة المحكوم عليهم ، وكذلك حرمانهم حق امتلاك أي ملك في الديار المصرية بطريق الإرث أو الهبة أو البيع أو بأي طريقة ما ، مع ترتيب معاش سنوي لهم بقدر الضروري لمعيشتهم . وقضى هذا المرسوم ببيع أملاكهم ، وما ينتج من هذا البيع من صافي الثمن يخصص لسداد التعويضات التي ستعطى لمن أصيبوا في حوادث الثورة . وفي ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٢ صدر أمر خديوي آخر بتجريد السبعة الزعماء من جميع الرتب والألقاب وعلامات الشرف التي كانوا حائزين لها .

تنفيذ الحكم في عرابي وزملائه : اختارت الحكومة الإنجليزية جزيرة "سيلان" بالهند منفى للزعماء السبعة .. فاجتمعوا في سجن الدائرة السنية يوم ١٣ ديسمبر ليتداولوا في تجهيز معدات الرحيل ، وفي ٢٥ ديسمبر ١٨٨٢ إجتمع الزعماء السبعة لتنفيذ الحكم وذلك فى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم في ساحة " قصر النيل " وتلا عليهم علي غالب باشا وكيل وزارة الحربية أوامر التجريد ، وأعدت الحكومة العدة لرحيل الزعماء بعد ثلاثة أيام (٢٨ ديسمبر) على متن الباخرة مريوتس " مريوط " وهي باخرة إنجليزية حمولتها ١٤٠٠ طن استأجرتها مصر

خصيصاً لنقل الزعماء وذويهم وحاشيتهم إلى جزيرة سيلان ، وأنـزلتهم فيها بالدرجة الأولى ، وعهدت إلى الكولونيل موريس بك وهـو ضـابط إنجليزي كان في خدمة الحكومة المصرية بأن يرافقهم حتى يصلوا إلـى منفاهم . وفي مساء ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٨٢ أعدت الحكومة لهم قطاراً خاصاً للرحيل حيث أخذهم القطار من ثكنة قصر النيل لنقلهم إلى مدينـة السويس ، وكان مع الزعماء السبعة من اختاروهم من الأهل والخـدم ، وكان فى وداعهم المستر برودلي محاميهم على رصيف القطـار ، كمـا حضر وداعهم السير شارلس ويلسن مندوب السُلطة الإنجليزية . وفـى النهاية تحرك بهم القطار في الساعة العاشـرة مسـاء ورافقهـم إلـى السويس المستر نابييه ، وكانوا فى حراسة عدد كبيـر مـن الجنـود المصريين والإنجليز . ووصل القطار إلى ميناء السويس الساعة الثامنة من صبيحة يوم ٢٨ ديسمبر ، وهناك ركبوا الباخرة " مريوتس " التـى أبحرت بهم في الساعة الواحدة بعد الظهر إلى ثغـر كولومبـو مينـاء سيلان فوصلوا إليه مساء ٩ يناير سنة ١٨٨٣ ، ونزلوا إلى البـر فـي صبيحة اليوم التالي . وبعد نفى الزعماء السبعة بـدأت مصـر تعـيش تاريخا مرتعشا ، إعتبره البعض من أسوأ العهود . كـان قـوام فلسـفة الحكم فيه .. إلى جانب التحكم والاسـتبداد والاسـتغلال .. بـث هيبـة الاحتلال بالطعن في الثورة العرابية واتهامها بالفشل والإطاحة بكل مـا كانت له صلة بها .

الفصل الرابع

عرابى فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى

****

فى ٧ يناير عام ١٨٩٢ توفى الخديوى توفيـــق وخلفـــه إبنـــه الأكبــر الخديوى عباس حلمى الثانى وكان عمره إذ ذاك ١٨ عاما . وقد أرسله والده مع أخيه الأصغر الأمير محمد على إلى سويسرا والنمـــسا لإتمـــام تعليمهما هناك. ولما عاد عباس حلمى الثانى من فيينا على أثــر وفـــاة والده وإعتلى العرش وحاول أن يناهض سياســـة الإحـــتلال البريطـــانى وسيطرته على الحكومة فلم يقدر ، وظهر عجزه أمـــام أقـــوى معتمـــدا أرسلته الحكومة البريطانية لتمثيلها فى مصر وهو اللورد كرومر.

(١)

ماذا حدث فى المنفى للزعماء السبعة

بعد عامين من النفى توفى عبد العال باشا حلمي فى ١٩ مـــارس ســـنة ١٨٩١ بكولومبو ودفن بها . وبعد ثلاثة أعوام أخرى ذهب محمود باشا فهمي إلى كندى (عاصمة الجزيرة) لتبديل الهواء ، وهناك أدركته المنية فى مساء ١٧ يوليه سنة ١٨٩٤ ودفن بها . وفي فبراير ســنة ١٩٠٠ وافقت الحكومة المصرية لطلب تقدم به طلبة باشا عصمت بالعودة إلـى مصر بعد أن ساءت صحته ، ولكن توفى قبل عودته لمصر فــي نفــس العام وتم نقل جثته للقاهرة ودفن في قرافة الإمام الشافعي . وفي شهر أكتوبر سنة ١٩٠٠ توفى يعقوب باشا سامي ودفن بجوار قبر محمــود باشا فهمي بكندى (ويذكر أنه قد صدر عفوا مــن الحكومــة المــصرية بعودته للقاهرة ولكن وافته المنية قبل عودته مباشرة) . أيضا أصــيب محمود باشا سامي البارودي بإرتشاح في القرنيتين أفقده نور عينيــه ، وقررت جمعية الأطباء ضرورة عودته إلى مصر لمعالجته فــي المنــاخ الذي ولد فيه ، وقد صادق على ذلك حاكم الجزيرة وأصــدر الخــديوى عباس حلمي الثاني أمراً بعودته إلى مصر . ورجع البارودى في سبتمبر سنة ١٩٠٠ ، وعفا عنه الخديوى ومنحه حقوقــه المدنيــة ورد إليــه

أملاكه الموقوفة وحصل على متجمد ريعها من ديوان الأوقاف ، ولكن لم يعد إليه بصره ، وتوفى في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٤ .

وفي ١١ يونيه سنة ١٩٠١ صدر عفو الخديوى عباس عن عرابي وعلي فهمي ، وغادر علي باشا فهمي الجزيرة في أغسطس سنة ١٩٠١ ووصل إلى القاهرة في أول سبتمبر ١٩٠١ . بينما وصل عرابي إلى القاهرة في أول أكتوبر سنة ١٩٠١ ، وكانت البلاد فى ذلك الوقت تغلي سخطاً على الاحتلال البريطانى وعلى ما بدا من الحكومة البريطانية من نقض عهودها بشأن الجلاء خاصة بعد أن ووضعت يدها على كافة مرافق البلاد .

(٢)

الرحيل فى صمت رهيب لا يليق بالزعيم.

وبالعودة إلى عرابى ، فنجد أنه بعد تسعة عشر عاماً من النفي في سيلان .. عاد عرابي إلى مصر عام ١٩٠١ ووضع تحت الحراسة في بيته العتيق بالمنيرة لا يغادره ولا يبرحه إلا بتصريح ، وعاش منسياً من جميع المصريين تقريبا . وفي مساء ٢١ سبتمبر سنة ١٩١١ خيم الصمت على البيت العتيق الذى كان يعيش فيه .. وجاء الليل فتقدم بائع الزبادي يطرق بابه .. وبعد لحظة فتح له الباب .. وأطل من الداخل شبح وتمتم ببضع كلمات خافتة فانصرف البائع في سكون .. كان الشيخ

العجوز قد فقد وعيه منذ ذلك الصباح ولم يعد يتكلم .. بل لقد أطبق عينيه وغرق في غيبوبة تامة .. وجلس حوله الأهل فقط .. فلم يكن يسمح له بأي زيارة غير زيارتهم .. جلسوا خاشعين... كانت تلك الليلة هى الأخيرة . وفى خارج المنزل سار بائع الزبادى يجول في الحي ويحوم حول منزله العتيق .. فلما بعد عنه .. عرج إلى الحارة المجاورة فإذا الهمس من حوله على لسان الجالسين أمام الأبواب .. مات عرابي ! نعم مات عرابي ! ... مات عرابي ! كانت غيبوبة الشيخ قد انتهت وأصبح في عداد الموتى .. واستطال الهمس إلى بعيد .. خرج من حي المنيرة على لسان بائع الزبادي ليستقر في أسماع أهل السيدة زينب .. وراح يسري .. ويسرى ... تتناقله القلوب الراجفة .. حتى إذا أصبح الصباح كان الناس في كافة أحياء القاهرة الأخرى يسألون بعضهم البعض .. عرابي ! .. عرابي ! وأين كان عرابي ؟ ... ومن يوم بطوله .. يوم حار رطب من أيام سبتمبر الحالكة .. وتجمع العديد من الناس ينتظرون خروج النعش .. لكن النهار كان قد انصرم والشيخ لا يزال مسجي على فراش الموت .. إذ لم يكن في البيت ما يكفي لتجهيزه ودفنه . وفي اليوم التالي ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١١ وقبل عيد الفطر مباشرة .. صرفت وزارة المالية المرتبات والمعاشات مبكرة لأربابها وأمكن أن يتم تجهيز نعشه . وخرجت الجنازة في صمت ومن خلفها أولاده وأهله .. ذلك أنه لم يكن مسموحاً أن يسير في جنازته غيرهم ..

ولكن القاهرة كلها كانت تئن لوفاته : مات عرابي ! ... مات عرابـــي ! ... وتجمع الناس من حول النعش في مقدمتهم بائع الزبادي ... كـــانوا يتدافعون لحمله فوق مناكبهم ... والقاهرة الحزينة الصامتة تودعه في صمت كئيب .. حزين .. رهيب . هذا الذي كان في يوم مـــن الأيـــام .. حامي حمى الديار المصرية .

ومات الزعيم الذى إمتلك ذات يوم شخصية قوية جذابة تؤثر في الأفراد والجماعات .. كانت له أخص صفات الزعماء . ولولا هذه الموهبة لمـــا استطاع أن يجتذب إليه محبة ضباط الجيش وجمهرة الأمة كلها فى ذلك الزمان .. لقد نال ثقتهم وأملى إرادته عليهم . كانت له أيـــضاً موهبـــة الكلام والخطابة والصوت الجهوري وهى من مزايا الزعماء التي تهفـــو إليها نفوس الجماهير ... لقد كان لخطبه تـــأثير الـــسحر فـــي نفـــوس الجماهير وسامعيه . وكان بلا مراء يريد الخير لـــبلاده ، ويريـــد لهـــا الحُرية والاستقلال . وعلى هذا الأساس قامت دعوته .

النتائج

أهم النتائج التى تم التوصل إليها بعد الدراسة المستفيضة للزعيم عرابى مؤسس الحزب الوطنى العريق بإعتباره شخصية عامة وأحد رموز الزعامة المصرية فى العصر الحديث قد تمثلت فى الآتى:

١- أوضحت الدراسة وجود تناقض واضح فى الفكر والمنهج بين الخديوى إسماعيل وأحمد عرابى . فقد كان إسماعيل يمتلك كل شىء .. المال والوسامة والجاذبية والذكاء الإجتماعى والخشونة والعلوم العسكرية الحديثة والفكر المؤسسي لبناء دولة حديثة وعصرية، إضافة إلى الفهم والوعى السياسى والتحالفات الدولية فى ذلك الوقت . وكان أحمد عرابى يتقاسم معه الخشونة والفكر العسكري المحلي الدفاعي، بينما الخديوي إسماعيل كانت طموحه تتمثل فى إستعادة مجد مصر الكبير الذى أرساه جده محمد على ووالده إبراهيم باشا . وهناك عامل مشترك آخر بينهما ولو بدرجة أقل : إذا كان إسماعيل أرستقراطى المنشأ والثقافة ، فإن عرابى كان ينتمي إلى طبقة برجوازية تمتلك وليست أجيرة بإعتباره إبن أحد العمد الذى تعلم أفضل من غيره فى قريته حتى لو كان ذلك تعليما دينيا إلا أنه مميزا عن كل من كان حوله تقريبا ، إضافة إلى أنه كان يجيد اللغة الفرنسية والتركية والعربية أيضا. أما الوعى السياسى لدى الطرفين فكان متفاوتا، ولكنه إلتقى فى بعض النقاط حول مصر . فقد كان الرجلان يحبان مصر إلى أبعد

الحدود ، وكل منهما يريد أن تكون مصر أم الدنيا ولكن بطريقته ، ولعل ذلك هو الخلاف الرئيس بينهما ، وإذا كان الخديوى إسماعيل واسع المعرفة ومتعدد الثقافات وله فهم أعمق للتحالفات الدولية ، فإن عرابى كان يمثل وعيا سياسيا محليا قائما على مبادىء الفكر الثوري ضد المحتل ، ولم يكن ملما بما فيه الكفاية بسياسة التحالفات الدولية أو كيفية العمل على بنائها تراكميا بهدف إحتضان حركته الوطنية ودعمها من الخارج لتحقيق إستقلالها ، فالثورة الأمريكية لم تحقق استقلال الولايات المتحدة إلا بعد أن عاونتها فرنسا بجيشها وأسطولها . وإيطاليا لم تحقق وحدتها وتتحرر من الإحتلال النمساوي إلا بمعاونة الجيش الفرنس لها ، وكذلك اليونان لم تتحرر من الإستعمار التركي إلا بمعاونة روسيا وفرنسا وإنجلترا ، ونفس الحال بالنسبة للدول البلقانية عامة فلم تنفصل عن تركيا وتحقق استقلالها إلا بمساعدة دول أوربا .

. مما سبق يتبين أن نقاط الخلاف كانت أكثر من الإتفاق وهو ما لم يصنع تقاربا بين الرجلين، لذلك كانت غالبية خطوط الإتصال شبه مقطوعة بفضل ألاعيب الدهاة وهو ما جعل عرابى يخسر الكثير من جهده ووقته .

٢- كشفت التحقيقات التى أجريت حول أسباب فشل حملة الحبشة الثانية أنها ترجع إلى عدم توحيد القيادة المصرية أثناء سير الحرب ، ووجود خلاف بين راتب باشا ولورنج وكذلك الأمير حسن إبن الخديوى

إسماعيل(أنظر حرب الحبشة) . كما كشفت الحرب عن عدم كفاءة لورنج فى القتال الميدانى عامة والقتـال فـى أفريقيـا خاصـة، وأوضـحت التحقيقات تفرغ راتب باشا لحماية الأمير حسن وسلامته مما أثر سـلبا على كفاءته القتالية فى الميدان ، إضافة إلى أن راتب باشا كانت تنقصه الجرأة كقائد ميدانى مهاجم ، وقد سبب ذلـك خـسارة كبيـرة للجـيش المصرى . وكشفت التحقيقات عن الخيانة التى لحقت بالجيش المصرى والأعمال التجسسية الفرنسية التى أضرت بالقوات المصرية ضررا بالغا.

٣- لعب دور جمع المعلومات والإستخبارات البريطانى دورا هاما فـى تلك المرحلة .. فى عام ١٨٧٣ كتبـت القنـصلية البريطانيـة تقريـرا إستخباراتيا (ضمن عدة تقارير) حول الشأن الداخلي المصري جاء فيه : إن إزدياد شعور العداء تجاه الأجانب فى مصر وتحديـدا البريطـانيين والفرنسيين يرجع إلى سببين هامين هما : الدين والاقتصاد ، أما الدين فيتركز في إتهام بعض الأقباط للطبقات الغنية المسلمة بتهاونهـا حيـال النفوذ الأوربي . والسبب الثاني ينبع من ارتفاع نسبة الفقراء وزيـادة حرمان الطبقات الفقيرة من معظم مطالبها الـضرورية نتيجـة إرتفـاع الضرائب التي فرضها الخديوى للوفاء بمطالـب المـاليين الأوربيـين المتشددة وخاصة بريطانيا وفرنسا.

٤- كشفت الدراسة عن تآمر الدول الأوربية وعلى رأسـها بريطانيـا وفرنسا وألمانيا بزعامة بسمارك الذى كان يكن عداء شديدا للخـديوى

إسماعيل وضد الحركة الوطنية المصرية الجديدة التى تعاطف معها الخديوى إسماعيل . وبذلت الدول الأوربية كل جهدها إلى خلع الخديوى إسماعيل الذى تحالف مع الحركة الوطنية ضد التدخل الأوربى. والمثير هنا أن الآستانة دعمت موقف الدول الأوربية فى مؤامرتهم ضد مصر.

٥- طوال فترة حكم الخديوى إسماعيل وهى سبع عشرة سنة لم يترقى عرابى رتبة واحدة ، بل فصل من عمله عدة مرات وظل خلالها برتبة القائمقام ، وقد ترك ذلك أثرا سيئا فى نفس عرابى تجاه الخديوى إسماعيل الذى لم يهتم كثيرا بالجبهة الداخلية فى ذلك الوقت . فقد ترقى كل الضباط الى رتب أعلى لكونهم من المماليك أو من أصل تركى أو جركسى ، لذلك بلغ الحقد منتهاه ولم يأسف عرابى على مغادرة الخديوى لمصر مطلقا على الرغم من أن الخديوى فى مراحله الأخيرة إقترب كثيرا من الحركات الوطنية وكان يدعمها بطرق غير مباشرة .

٦- فور تولى الخديوى توفيق عرش البلاد قام رياض باشا بالسماح لإنجلترا وفرنسا بالرقابة على أداء الحكومة المصرية والعمل على ضرب الحركات الوطنية المصرية بلا رحمة أو شفقة، وتعامل بقسوة بالغة مع أعضاء الحزب الوطنى أملا فى القضاء على الإصلاحات السياسية وحرية الصحافة التى كانت ترفضهما تماما كل من بريطانيا وفرنسا .

٧- الدعم السرى الذى قامت به كل من بريطانيا وفرنسا للأقلية الجركسية والتركية لعب دورا هاما فى إعادة تنظيم صفوفهم أملا فى

القضاء على كبار الضباط المصريين وتهميش صغارهم بهدف إستعادة السيطرة على الجيش المصرى لتسهيل مهمة القوات البريطانية فى إحتلال قناة السويس لتأمين طريقها المؤدى إلى مستعمرتها الهندية.

٨- عندما وضعت عريضة الضباط الوطنيين فى ١٥ يناير ١٨٨١ كان الهدف منها حماية الجبهة الداخلية من مصريين وأجانب على حد سواء، وقد شملت العريضة تعهدا بذلك . وشددت العريضة على عقيدة الجيش بحيث تكون وطنية خالصة وأن يكون عدوها واضح وهو ما غرسه عرابى ورفاقه فى البنية النفسية الداخلية لأفراد الجيش جميعا عدا الأجانب منهم ، وهو ما أربك حسابات بريطانيا وفرنسا .

٩- فى واقعة ساحة عابدين فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ لعب القنصل البريطانى كوكسن دورا محوريا فى توسيع هوة الخلاف بين الخديوى توفيق وقادة الجيش من الوطنيين . لكن الخديوى تراجع وقام بتلبية مطالب عرابى ورفاقه ، وقال لعرابى بعد ذلك أنه فعل ذلك وهو مرتاح النفس وبنية صافية . ولكن لم يتم البناء على تلك المصالحة بل تم إختراقها من قبل عملاء بريطانيا وفرنسا.

١٠- لم تكن الجبهة الداخلية موحدة بما يكفى حتى بين أعضاء الحزب الوطنى ، وظهر ذلك واضحا طوال مرحلة الصراع ، وتجلى فى الخلاف بين شريف باشا ومحمود سامى البارودى أثناء قيام الأول بتأليف الوزارة ، ثم فى موقف محمد باشا سلطان رئيس البرلمان ورفاقه من

أعضاء البرلمان وغالبيتهم من :لتجار ورجال الأعمــال ضــد عرابــى ورفاقه ، حتى أن شريف باشا ومحمد سلطان وغيرهم من رجال الأعمال فى البرلمان والحكومة ساندوا الخديوى فى طلب الحماية من الإنجليز ، كما وافقوا على طلب الخديوى الخاص بإعدام عرابى ورفاقه بعد هزيمة الجيش فى التل الكبير واحتلال الإنجليز لمصر، وهو مــا إعتبــر مــن المشاهد المأساوية المهينة فى تاريخ الصراع ضد المحتل الأجنبى.

١١- الذين كتبوا سيرة عرابي من أعدائه أو المعارضــين لــه عقــب الاحتلال البريطانى لمصر مباشرة أساءوا كثيرا إلــى شــخص عرابــى ومسيرته النضالية . فقد حاول هؤلاء بالتعاون مع الإنجليز تشويه كــل شىء حول عرابى حتى يثبت ذلك التشويه في أذهان الأجيال القادمة تلك الصورة التي صنعها البريطانيين لشخص عرابي ورفاقــه ، وهــى أن عرابى كان رجلاً جاهلاً طائشاً ولم يحارب من أجل الحرية والدســتور، وإنما كانت تحركه أطماعه الشخصية التى أدت به فى النهاية إلى تلــك الهزيمة النكراء ثم تسليم نفسه وسيفه صاغراً إلى قائد جيش الاحتلال الإنجليزي . كان الهدف من وراء ذلك التشويه المتعمد هو القضاء عليه نهائيا حتى لا يكتب إسمه فى سجل التاريخ عن أنه أول مصرى نــادى بالحرية والدستور ، وأنه أول زعيم وطني وضع جهــاد وطنــه علــى أساس قومي .

١٢- أوضحت الدراسة أن عرابى إمتلك شخصية قوية جذابة تؤثر في الأفراد والجماعات ، كما إمتلك أخص صفات الزعماء . ولولا هذه الموهبة لما استطاع أن يجتذب إليه محبة ضباط الجيش وجمهرة الأمة . كما كانت لهُ موهبة الكلام والخطابة والصوت الجهوري وهى من مزايا الزعماء التي تهفو إليها نفوس الجماهير ، وكان لخطبه تأثير السحر في نفوس الجماهير وسامعيه . وكان بلا مراء يريد الخير لبلاده ، ويريد لها الحُرية والاستقلال . وعلى هذا الأساس قامت دعوته .

١٣- أن أعداء عرابي أو معارضوه كانوا يعتقدون أنه لم يكن على حظ كبير من الكفاية السياسية وبعد النظر ، ولم ينل حظاً كبيراً من الثقافة والإلمام بشؤون السياسة وأطوارها . وإتهموه بأنه مغرورا ويقوم بنفسه بتصريف الشئون السياسية كافة. ولكن ذلك مردود عليه بأن كثيراً من الزعماء لم يحصلوا على العلم الذى حصل عليه عرابى ومع ذلك نجحوا في زعامتهم ودعوتهم ، لذلك فإن هناك خطأ وخيانة ما فى مكان وزمن ما كان وراء تلك النتيجة البائسة . ويشير سجل الحوادث أنه كان دائما ما يشرك رفاقه فى كافة القضايا التى تخص الأمة ، ويأخذ برأيهم . وليس حقيقيا أن عرابى حاول التخلص من شريف باشا ، بل كان الأخير لا يكن الحب والود لعرابى وللبارودى وغيرهم كما أوضحنا من قبل .

١٤- وفيما يتعلق بضرب وحرق الإسكندرية، فقد رأى المعارضون لعرابى أن حساباته كانت خاطئه للدخول فى حرب خاسرة ضد القوات البحرية البريطانية التى لا تغرب عنها شمس ذلك الزمان . وقد يكون ذلك صحيحا من وجهة نظرهم ، بينما كان عرابى يرى أن الأدميرال سيمور حاول إذلال الجيش المصرى وقادته (أنظر ضرب الإسكندرية)، لذلك فرض القتال فرضا على الجيش المصرى ، وعليه لم يكن هناك بديلا واحدا أمام عرابى سوى الدفاع عن كرامة مصر والمصريين ، وهذا ما أكدته طبيعة أحداث تلك الواقعة ، ومن يقل عكس ذلك فهو غير متابع لمجرى أحداث تلك الفترة. لكن المعارضين ذهبوا لأبعد من ذلك وإتهموا عرابى بعدم تقدير الموقف والغرور المزيف ، واستشهدوا على ذلك بالعبارات التى كان يطلقها عرابى قبل الحرب وأثنائها ومنها: كان يقول : "أنا أقوى من دولة الإنجليز ودولة فرنسا " ، و : " إن الطوابي والعساكر المصرية لا تقاوم الإنجليز فقط ، بل ستقاوم جميع الدول مدة ثلاث سنين .. بحيث لا يمكن لأحد الدخول إلى مصر " ، وكان يردد هو وأنصاره كلمتهم المأثورة " الإنجليز كالسمك .. إذا خرج من البحر هلك" . وكان يصرح بأنه لن يخضع لأوربا أو لتركيا ، وقال في هذا الصدد : " فليرسلوا لنا جيوشاً أوربية أو هندية أو تركية .. فإني ما دمت وبي رمق فإني سأدافع عن بلادي ، وعندما نموت جميعاً يمكنهم أن يمتلكوا البلاد وهي خراب " . والرد على ذلك يتمثل فى أن تلك

التصريحات ما هى إلا تصريحات سياسية الهدف منها هو رفع الـروح المعنوية لدى الجيش والشعب كى يقتنع الجميع أنه طالما كتـب علينـا القتال فلنقاتل للدفاع عن الوطن. ومع ذلك دعنا نسأل هذا السؤال: ماذا لو أن الثورة قد انتصرت؟ . هنا يعتقد الكثيرون أن الدنيا سوف تتغيـر وستتضاءل عيوب عرابى إلى حد عدم رؤيتها ، وسيصبح عرابى بطـلا فوق العادة وفوق كافة المقاييس .

١٥- الإنقسام الذي وقع بين الحزب الوطنى مـن جهـة والخـديوى توفيق من جهة أخرى أوجد داخل البلاد معـسكرين متحـاربين همـا، معسكر الحركات الوطنية ومعسكر الخديوى، وعندما وقع الصدام بينهما انتهز الإنجليز تلك الفرصة وحققوا أطماعهم الاستعمارية بالتدخل فـي شؤون البلاد بهدف احتلالها . وقد تمثل ذلك الصدام فى واقعـة قـصر النيل ثم واقعة ساحة عابدين . وطالب البعض علنا بعـزل الخـديوى ، وهو ما إعتبر أقصى مظاهر التنازع والشقاق بين أبناء البلد الواحـد . وكان لذلك أسوأ الأثر خلال الحرب الكبرى التى إنتهت بإحتلال الإنجليـز لمصر.

١٦- نقص الخبرة القتالية للضباط المصريين وعدم إستخدام البـدائل وهو ما كشفت عنه الحرب الكبرى بين القـوات البريطانيـة والقـوات المصرية . وقد تجلى ذلك في إحجام عرابي ورفاقـه عـن سـد قنـاة السويس عند بداية الحرب، وهو ما إعتبر خطأ قاتل بكل المقاييس ، فلو

سدت القناة في الوقت المناسب لطال أجل الحرب ووجد الجيش الـوطنى الوقت الكافي لتنظيم ووسائل دفاعاته. خاصة وأن الشعب المصرى كـان مستعدا لبذل كل تضحية للدفاع عن كيانه ووجوده.

١٧- قلة أو إنعدام الأعمال الإستشهادية ضد العدو خلال الخرب . فلو حدثت أعمالا إستشهادية ضد بوارج إسطول العـدو أو بـين تجمعـات القوات البريطانية فى البحر أو البر وأوقعت العديد من القتلى فى صفوف العدو لكانت الحرب قد تغيرت تماما وتحولت فى صالح الجيش المصرى. والمعروف أن مواقف التضحية والبطولة تبعث في الأمة روح التضحية والبطولة ، ومواقف التسليم والخضوع يقضي على هذه الروح.

١٨- أن الخديوى توفيق لم يكن مؤمناً بالإصلاحات الـسياسية عامـة والتى تعطى الصلاحية التنفيذية الحكومة وكذلك الـصلاحية التـشريعية لرئيس مجلس النواب وأعضائه . فالخديوى كان يميل إلـى الحكومـة المطلقة التى تستأثر بالسلطة ، وقد أيده فى ذلك حاشـيته والمقربـون منه من الأجانب والمصريين من طبقة رجال الأعمال والتجـار الأكثـر تعاملا تجاريا مع ممثلى الدول الأوربية عامة وبريطانيا وفرنسا خاصة. ونظرا لإنفصال الخديوى توفيق عن الشعب وتياراته الوطنية المختلفـة فإن لندن وباريس اتخذت من الخديوى تكأة لمحاربة الحركات الوطنيـة المعادية للنفوذ الأجنبي فى مصر . وخير دليل على ذلك مفاجئة الـبلاد بمذكرة ٧ يناير سنة ١٨٨٢ التي إنطوت على إثارة العداوة والبغـضاء

بين الخديوى توفيق والشعب ، وقد وقف الخديوى وخلفه لندن وباريس بجانب مجلس النواب الذى كان يرأسه محمد سلطان باشا والذي طالب بحق تقرير الميزانية وعدم منح الحكومة هذا الحق وهو ما أدى إلى سقوط وزارة شريف باشا . ثم إستغلال لندن للخلاف الذى وقع بين الخديوى وبين وزارة البارودي في واقعة مؤامرة الضباط الجراكسة لإغتيال عرابى ورفاقه، وهى المؤامرة التى قامت بتغذيتها بريطانيا وفرنسا والتى على أثرها طلب الخديوى التدخل الإنجليزي والفرنسي بشكل علني وأيد الخديوى فى ذلك رئيس مجلس النواب محمد سلطان باشا، ولما انسحبت فرنسا من الميدان بناء على إتفاق مسبق مع لندن استمر انحياز الخديوى توفيق ومحمد سلطان إلى جانب التدخل الإنجليزي.

١٩- أن فرنسا وانجلترا كانتا تطمعان في توسيع نفوذهما في مصر ، وعليه جاء سخطهما على الحركات الوطنية وخاصة عرابى ورفاقه ، ومن ثم بذلا قصارى جهدهما لمنع قيام حكومة دستورية في البلاد . والدليل على ذلك تمثل فى مذكرة ٧ يناير سنة ١٨٨٢ السابق الإشارة إليها التي إنطوت على إثارة العداوة والبغضاء بين الخديوى توفيق والشعب وأدت إلى سقوط وزارة شريف باشا . وقد إنتهزت بريطانيا وفرنسا فرصة الانقسام الداخلى الذي وقع بين الخديوى والحكومة وأرسلتا أساطيلاهما إلى مياه الإسكندرية ، ثم تدخلهما بعد ذلك

وتقديمهما بلاغهما النهائي الخاص بإقالة وزارة البارودي وإبعاد زعماء الثورة إلى خرج البلاد أو القاهرة على أقل تقدير ، ثم رفض عرابى ورفاقه هذه المطالب ، لكن الخديوى توفيق قبل المطالب البريطانية الفرنسية مما أدى إلى استقالة وزارة البارودي ثم انفجار الموقف الداخلى ضد الخديوى . ويذكر أيضا أن أوكلان كولفن المراقب العمومى الإنجليزى قام فى منتصف شهر يونيو ١٨٨٢ بالضغط المباشر إلى أقصى درجة على الخديوى توفيق فى محاولة لإقصاء الآستانة عن مصر من أجل تدخل القوات البريطانية لاحتلال مصر.

٢٠- أن الاتفاق السري بين بريطانيا وفرنسا والذي قامت الأخيرة بمقتضاه بالإنسحاب من الميدان مقابل حصولها على الدعم الإنجليزي الكامل فى سيطرتها على تونس ، فى الوقت الذي تسيطر فيه بريطانيا على مصر بدعم وتأييد فرنسي، كل ذلك كان له الأثر البالغ فى نفوس المصريين ضد لندن وباريس . وقد نفذت بريطانيا خططها حيث لعب مستر كوكسن قنصل بريطانيا بالإسكندرية دورا محوريا فى بدء شرارة مذبحة الإسكندرية فقام بإصطفاف قناصل الدول الأجنبية ضد الشعب المصرى عامة والحركة الوطنية خاصة ، وساهم بدور فعال فى توزيع الأسلحة على الجالية الأوربية بالإسكندرية إستعدادا للمذبحة ، وقد نجح فى ذلك إلى حد بعيد . كما ساهم كوكسن أيضا فى حريق الإسكندرية الناتج عن ضربها بمدافع البحرية البريطانية وإنزال جنودها إلى البر ..

فكان ذلك بدء الحملة التي قضت على الحركة الوطنية وعلى الاستقلال حتى إشعار آخر . أضف إلى ذلك عدم تدخل الدول الأوربية بجانب مصر مما يعنى مباركة تلك الدول للإعتداء البريطاني على مصر، وسوء نية تركيا نحو مصر وحركاتها الوطنية ، وسعيها لإسترداد الاستقلال الذي نالته مصر . وما ظهر من الآستانة وترددها فى التظاهر تارة بمناصرة الحركة الوطنية بزعامة عرابى ، وطوراً أخرى بتأييد الخديوى توفيق ضد عرابى ، ثم انضمام الآستانة أخيرا إلى جانب الإنجليز بإعلانها عصيان عرابي ، وكل ذلك والحرب قائمة .. وقد كان الموقف التركي بمثابة ضربة شديدة للحركة الوطنية المصرية ، ودعما كبيرا للحملة البريطانية لإحتلال مصر بمقابل لم يعلن عنه فى حينه . كل هذه العوامل أدت بالنهاية إلى هزيمة مصر وإحتلالها... نعم لم تتلقى مصر معاونة من الخارج مطلقا ، لذلك فإن العوامل الخارجية كانت أقوى من العوامل الداخلية في إخفاق الثورة الوطنية المصرية .

التوصيات

بناء على تلك الدراسة ونتائجها، تم التوصل إلى النتائج التالية (ملحوظة:هذه التوصيات ليست نهائية ، وللباحث والقارىء حق الأخذ بها أو إلقاء الضوء على المزيد منها):

- ضرورة العمل التراكمي لبناء تحالفات إقليمية ودولية لدعم ومساندة الحركة الوطنية من الحصول على إستقلالها ، كما فعلت ونجحت الثورات الأخرى مثل: الولايات المتحدة الأمريكية واليونان وإيطاليا ودول البلقان و..
- كشفت حملة الحبشة الثانية عن ضرورة إقامة جيش وطني بحيث تكون قيادة الجيش ورؤساء فروعها مصرية مائة فى المائة ، وعدم الإستعانة بقادة أجانب ألا فى أضيق الحدود وعند الضرورة القصوى وفى وظائف غير حساسة بعيدة عن الأمن القومي ، مع مراعاة ألا يؤثر إستخدام الأجانب مطلقا على عقيدة الجيش القتالية . أيضا كشفت الحملة عن ضرورة تحديث وتطوير أجهزة الإستخبارات العسكرية وتطهيرها أولا بأول من الطابور الخامس أو الخيانة. أيضا ضرورة فتح ملفات حملة الحبشة الأولى والثانية بغرض الدروس المستفادة مستقبلا
- ضرورة الإستمرار فى تدريب القوات المسلحة بصفة دائمة، وتطوير تكنولوجيا الصناعات العسكرية المحلية الثقيلة والخفيفة

، وتطوير أجهزة جمع معلومات التكنولوجيا العسكرية التقليدية وغير التقليديـــة بكافـــة الوســـائل الممكنـــة وغيـــر الممكنـــة. والإشتراك فى مناورات عسكرية مع دول الجوار والمساهمة فى قوات حفظ السلام الدولية فى جميع المناطق الملتهبة فى العـــالم ما أمكن ، وذلك بهدف الحفاظ على جهوزية الجيش دائما.

- كشفت الإنقسامات الداخلية عن ضرورة الإحتكاك المباشر بـــين رئاسة الدولة والحركات والتيارات الوطنيـــة أو بـــين المـــوالاة والمعارضة فى حالة وجود حد فاصـــل بينهمـــا وتنـــشيط دور المجتمع المدنى، وتوضيح ما يدور من ضـــغوط دوليـــة علـــى الجبهة الداخلية وذلك لتبصير كافة قوى الحبهة الداخلية وكشف النقاب عن محاولات زعزعتها. كذلك العمل على إعادة توزيـــع الثروة بين طبقات الشعب للقضاء على الأحقاد والضغائن لانهما المنفذان الرئيسيان لتدخل النفوذ الأجنبى فى الشأن الداخلى.
- رعاية الأقليات داخل البلاد ، والتعامل معها على أســـاس مبـــدأ المواطنة حتى لا تترك رهينة لصراعات داخليـــة ممـــا يـــسهل التدخل الأجنبى فى الِان الداخلى.
- إعادة كتابة تاريخ مصر الحديث بطريقة محايدة تماما وإعطـــاء كل ذى حق حقه . والعمل على إزالة التشويه المتعمد الذى لحق بعرابى ورفاقه وكذلك حكام مصر السابقين من ملوك ورؤســـاء

والشخصيات العامة ، وتقديم الإعتذارات لكل شخصية عامة لحق بها تشويهها متعمدا فى السابق.

- ضرورة إقامة تحالفات إقليمية قوية ودولية تشدد على إحتـرام الحدود والعمق الإستراتيجى للدولة ، وكذلك مراعاة الحفاظ على الهوية المصرية والبعد الثقافى.
- الدراسة الدقيقة للموقف الذى إتخذه رجال الأعمال من أعـضاء الحكومة والمجلس النيابى برئاسة محمد باشا سـلطان والـذى تحالف مع الخديوى والقوات البريطانية ضد الحركات الوطنيـة التى كان يتزعمها عرابى ، خاصة بعد أن وافق محمد سـلطان وشريف باشا على إعدام عرابى. لذلك ضرورة العمل على إيجاد مخرج لحل الخلاف القاتل بين مصالح رجال الأعمال والتيـارات الوطنية والمجتمع المدنى حتى لا تقع مصر فى ذلك المحظـور مرة ثانية.

المراجع

- إبراهيم شلبى: تطور النظم السياسية والدستورية فى مصر، دار الفكر العربى ، ١٩٧٤.
- أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥.
- أحمد الشايب: الشيخ محمد عبده ، القاهرة ، ١٩٢٩.
- أحمد شفيق: مذكراتى فى نصف قرن، الجزء الأول ١٨٧٣ إلى ٨ يناير ١٨٩٢ ، القاهرة ، ١٩٣١ .
- أحمد عبد الرحيم مصطفى: تفسير جديد للثورة العرابية، كتاب الهلال ، سبتمبر ١٩٦٥.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦- ١٨٨٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى: تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٣.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى: تاريخ مصر السياسى من الإحتلال إلى المعاهدة ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٧.
- أحمد عرابى: مذكرات عرابى ، كتاب الهلال ، فبراير ١٩٥٣.

- الفريد بلنت: التاريخ السري لإحتلال الإنجليـز لمـصر، سلسلة إخترنا لك ٦٩.
- ألكسندر شولش : مصر للمصريين، تعريب دكتور رءوف عباس، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٣.
- تيودور روثستين: تاريخ المسألة المصرية ، تعريب عبد الحميد العبادى ومحمد بدران ، القاهرة ، عام ١٩٥٠.
- جاكوب، لاندو : الحياة النيابية والأحـزاب فـى مـصر، ١٨٦٦-١٩٥٢، القاهرة.
- حلال يحيى: مصر الحديثـة ١٥١٧-١٨٠٥ ، منـشأة المعارف، الإسكندرية.
- دار الوثائق القومية: مذكرات عرابى فـى الفتـرة مـن ١٨٨١ إلى ١٨٨٢.
- رفعت السعيد : الأساس الإجتماعى للثـورة العرابيـة ، القاهرة، ١٩٦٦.
- ريمون فلاوتر: مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبـد الناصر، ترجمة سيد أحمد الناصرى.
- زكريا سليمان بيومى: الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧- ١٩٥٣، القاهرة ، ١٩٨١.

- سامى عزيز: الصحافة المصرية وموقعها من الإحتلال الإنجليزى ، القاهرة، ١٩٦٨.
- سليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر، القاهرة، ١٩٢٤.
- سليم خليل النقاش: مصر للمصريين، محاكمة العرابيين، مطبعة جريدة المحروسة بالأسكندرية، ١٨٨٤.
- شهدى عطية الشافعى: تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ - ١٩٥٦ ، القاهرة ، ١٩٥٧.
- صبحى وحيده: فى أصول المسألة المصرية، الطبعة الثانية ، القاهرة.
- صبرى العسكرى: هوجة عرابى ، إنقلابا على ثورة، الأهرام ، ٢٤ مارس ٢٠٠١.
- عباس حلمى الثانى: مذكرات عباس حلمى الثانى، ترجمة جلال يحيى ، ١٩٩٣.
- عبد الرحمن الرافعى: الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى، النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٤٩.
- عبد الرحمن الرافعى: الزعيم أحمد عرابى، كتاب الهلال، مارس ١٩٥٢.

- عبد العزيز بدر: مصر الحديثة قبيل الإحتلال البريطانى وبعده، القاهرة، ١٩٢٣.
- عبد العزيز عرابى: الثورة العرابية ، لورد كرومر.(ترجمة عبد العزيز عرابى)
- عبد العظيم رمضان: هوجة عرابى، هيئة الكتاب، ٢٠٠١.
- عبد العاطى محمد: الفكر السياسي للإمام محمد عبده، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.
- عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦ ، دمشق، ١٩٧٤.
- عبد المنعم إبراهيم الدسوقي: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والإجتماعية، القاهرة، ١٩٨٠.
- عصام ضياء الدين : الحزب الوطنى والنضال السرى، ١٩٠٧-١٩١٥، رسالة ماجستير، كلية الاداب ، جامعة القاهرة، ١٩٧٢.
- لطيفة محمد سالم: إرهاصات العدوان الإنجليزى على مصر فى المذكرة المشتركة، الأهرام، ٢٢ مايو ٢٠٠١.
- لطيفة محمد سالم: مذبحة الإسكندرية، ٢١ يونيو ٢٠٠١.

- محمد رفعت : تاريخ حوض البحر المتوسـط وتياراتـه السياسية، القاهرة، ١٩٥٩.
- محمد عوده: يوم القيامة فى عابدين، الأهرام ، ٢٠٠١.
- محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٧.
- محمود الخفيف: أحمد عرابى الزعيم المفترى عليـه ، كتاب الهلال ، يوليو ١٩٨١ .
- نعمان عاشور: بطولات مصرية، أحمـد عرابـى ، روز اليوسف، ١٩٧٣.
- يونان لبيب رزق: الحياة الحزبية فـى مـصر ١٨٨٢-١٩١٤ ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٧٠.

صدر للمؤلف

□ موسوعة: رجال لهم تاريخ في مصر والدول العربية .

*الجزء الأول: من: أبا إيبان .إلى: إحسان عبد القدوس.

*الجزء الثانى: من: أحمد إبراهيم .إلى : أحمد زكى يمانى.

*الجزء الثالث: من: أحمد سالم. إلى : أحمد عرابى.

□ موسوعة الجيب لمخرجي السينما المصرية:

*الجزء الاول: من ابراهيم بغدادى الى أحمد السبعاوى.

*الجزء الثانى: من أحمد صقر إلى السيد بدير .

□ المسرح الوثائقي: تطور فن كتابة القصة:

*الجزء الأول: محمد حسين هيكل ومحمد تيمور.

*الجزء الثانى: محمود تيمور وعيسى عبيد وطاهر لاشين.

*الجزء الثالث: طه حسين.

*الجزء الرابع: توفيق الحكيم.

□ المسرح الوثائقى: فيصل بن عبد العزيز...الملك الذى أغتيل غدرا.

□ المسرح الوثائقى: تأريخ المسرح المصري عبر عصره الحديث.

□ مسرح الطفل : لا للشر .. نعم للحب .

□ المسرح الاسلامى: مسرحية أصحاب الفيل.

□ الأعمال الأدبية التاريخية:

١ – أحمد عرابى: زعيم مصرى حتى النخاع.

٢- الملك فيصل: مؤسس المملكة السعودية الحديثة.

- رائعة نجيب محفوظ: زقاق المدق بين الرواية والمسرح والسينما(دراسة نقدية).
- أدب الطفل : قصة أصحاب الفيل .
- أدب الطفل : قصة أصحاب الأخدود .
- سيطرة ومال ودماء : قصة وسيناريو وحوار.
- بطل المدينة : قصة وسيناريو وحوار.
- القتلة ومصيف جمصة الهادئ (رواية) .
- القاموس الإسلامي : (أ) .
- مشاكل الإعلام التعاوني في العالم العربي . (دراسة نقدية) .
- التاريخ القديم لشمال أفريقيا (ليبيا،تونس،الجزائر،المغرب).

الكتاب الأول: السكان الأصليين ثم الفينيقيين وإمبراطورية كرطاج.(باللغة الإنجليزية)

الكتاب الثاني:النفوذ الإغريقي والروماني والبيزنطي. (باللغة الإنجليزية)

- قضايا ديموجرافية فى كل من مصر وإسرائيل .(دراسة نقدية)باللغة الإنجليزية.
- الانشطار : التطور التاريخي للانشطار النووي.
- لماذا تفوقت إسرائيل على العرب نوويا ؟
- البرنامج النووي الإيراني:

* الكتاب الأول : هل ستصبح إيران دولة نووية تخشاها الدول المجاورة لها؟

* الكتاب الثاني: رعب داخل دول الخليج وإسرائيل من بناء القنبلة النووية الشيعية.

* الكتاب الثالث: بداية التعاون الخليجي العلني مع دول الغرب وإسرائيل لوقف بناء القنبلة الشيعية .

* الكتاب الرابع: المراحل التمهيدية للمواجهة الكارثية بين الغرب ودول الخليج من جهة وإيران من جهة أخرى.

- ظاهرة الاحتكار في الأسواق المصرية (دراسة نقدية).
- تجاوب مصري ضعيف رغم الضغوط الأمريكية والأوربية لتحرير سياسة سعر الصرف خلال الفترة من عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠٠٥ (دراسة نقدية).
- مأساة أكراد سورية .
- سلسلة قضايا عربية استراتيجية مثيرة للجدل:

  مايو ٢٠٠٥ ، يوليو ٢٠٠٥ ،أغسطس ٢٠٠٥
- كيف تواجه النرويج تفاقم المشكلة الإسلامية على أراضيها.
- الصراع البريطاني الأرجنتيني حول جزر الفولكلاند.

  الكتاب الأول: بداية الأزمة (باللغة الإنجليزية).

  الكتاب الثاني:الاحتلال الارجنتينى للفولكلاند (باللغة الإنجليزية) .

الكتاب الثالث: بريطانيا تستعيد جزر الفولكلاند بالقوة العسكرية (باللغة الإنجليزية).

Ahmed Oraby

(1841-1911)

000000000000000

Great Egyptian Nationalist
Who fought against the British &
French Intervene in
Egyptian domestic affairs

****



Hussein Hassanin